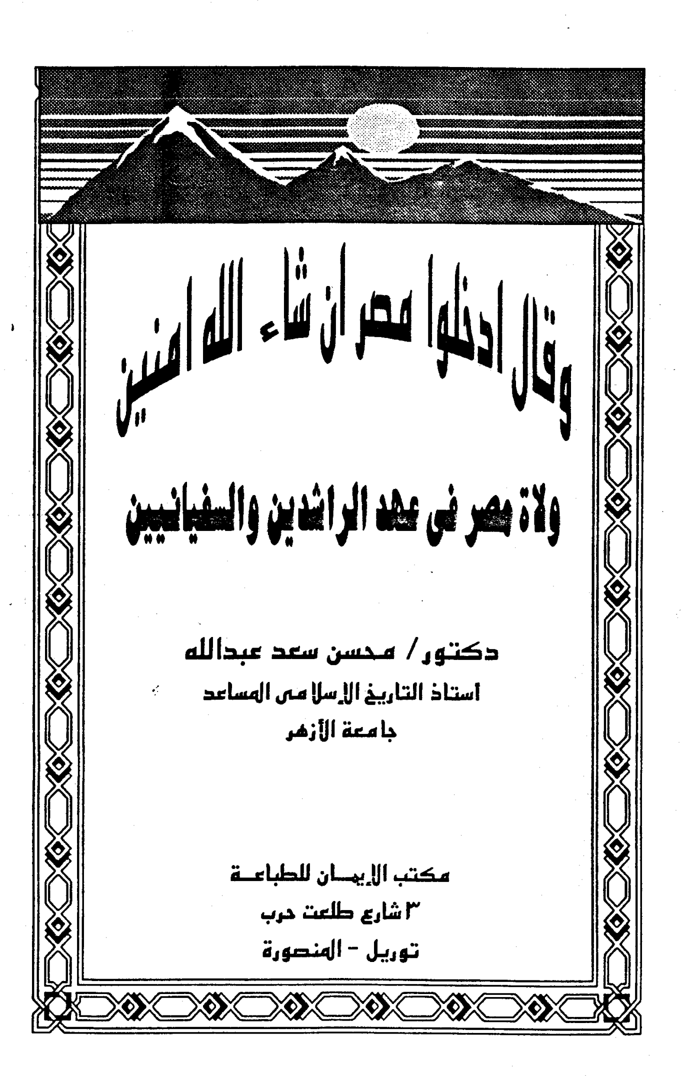

وقال ادخلوا مصر ان شاء الله امنين
ولاة مصر فى عهد الراشدين والسفيانيين
دكتور / محسن سعد عبدالله
أستاذ التاريخ الإسلامى المساعد
جامعة الأزهر
مكتب الإيمان للطباعة
٣ شارع طلعت حرب
توريل - المنصورة

إهداء

إلي التي تعهدتني طفلا حتي صرت رجلاً

إلي التي جاهدت معي حتي تعوضني عن نور العينين بنور العلم

إلي التي أعطت بلا حدود

أهدي هذا العمل إلي روحها التي فاضت إلي ربها سائلاً المولي جلا

علاه أن يجعلها ممن يسكنون الفردوس

وأن يجعلني من الواصلين لعملها بعد موتها

عملاً بقول النبي ﷺ

«إذا مات إبن آدم إنقطع عمله إلا من ثلاث»

منها ولد صالح يدعوا له

محسن سعد عبدالله

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله رب العالمين، الذي قال في القرأن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

« فلما دخلوا علي يوسف ءاوي إليه أبويه وقال ادخلوا «مصر» إن شاء الله أمنين»[سورة يوسف: آية /٩٨]

ونصلي ونسلم علي سيد المرسلين، الذي أثني علي «مصر» فشرفها بذكره إياها علي لسانه حين وصي المسلمين بأهلها في قول الذي رواه عنه «عمرو بن العاص» « إن الله عز وجل سيفتح عليكم بعدي ««مصر»» فاستوصوا يقبطها خيرا فإن لكم منهم صهرا وذمه»

وبعد

فهذه الصفحات التي نطالعها تتناول تاريخ ولاة «مصر» منذ فتحهاالمسلمون حتي قيام الأسرة المروانية بقصد كشف النقاب للقراء عن الظروف والملابسات التي أحاطت بتعيين ولاتها وعزلهم ومدي تأثر ذلك بالأحوال العامة التي تمر بها الخلافة الإسلامية في حاضرتها.

ولقد وجدنا في أنفسنا رغبة ونحن نطالع التاريخ الإسلامي في الكتابة عن تاريخ ولاة هذا البلد الإسلامي الكبير بشكل مستقل بعيداً عن الدراسات الإجتماعية والإقتصادية والنواحي الإدارية الأخري حتي نتمكن من إبراز ماضي هؤلاء الولاة وماقدموه من خدمات للإسلام قبل أن يتولوا

الأعمال وكيف أن ذلك أثر علي سياستهم في رعيتهم ومن الأسباب التي جعلتنا نبادر بالكتابة في هذا الموضوع أننا وجدنا المصادر الأصيلة للتاريخ الإسلامي لم تذكر معلومات عن ولاة هذا البلد تتناسب مع وجهودهم قبل المنصب وبعده، بل إن الكثير منها مثل «خليفة بن خياط»، تاريخ الرسل والملوك/ للطبري، الكامل في التاريخ لإبن الأثير والمقريزي في خططه.

أغفلوا ذكر عدد من ولاة «مصر» خلال مدة خلافة «معاوية بن أبي سفيان» - رضوان الله عليه - ليس هذا فحسب، بل إن بعض الباحثين المحدثين الذين أخرجت لنا المطابع لهم كتباً خصصوها لتاريخ «مصر» الإسلامية أغفلوا ذكر كثير من الولاة في عهد «معاوية بن أبي سفيان».

بل لم يعمدوا إلي الرد علي الإتهامات التي قالها غير واحد من المستشرقين لبعض ولاة «مصر» ومناقشة الروايات القديمة التي جاءت في مصادر التاريخ الإسلامي عن هذا الوالي أو ذاك مثلما هو الحال مع «عمرو ابن العاص» كما سنبينه وغيره من الولاة التي تتوافر صفحات الكتاب علي دراستهم. ويجد القاريء وهو يطالع الصفحات التالية أن مادتها العلمية مستقاة من مصادر أصيلة تخصصت في تاريخ «مصر» أو أخري كانت لها صفة عمومية في تناول تاريخ العالم الإسلامي.

وإن الحواشي بها قد جعلت لتخريج البلدان ليعلم القاريء الموقع الجغرافي لمسرح الحدث الذي يطالعه في كل صفحة من صفحات هذه الدراسة ونظير ذلك الأعلام الذين جاء المتن علي ذكرهم فان الدراسة خرجت معظمهم

بالحواشي لما في ذلك من عظيم الفائدة للقاريء وهو يحكم للوالي أو عليه إذ الرجل لا يحكم عليه من خلال صفاته بل من خلال من يستعين بهم ويعمد الي مرافقتهم.

وإن جاء ذلك عرضا بسبب حادث أو ظرف طاريء.

وبالإضافة الي ماتقدم فإن الحاشية بالصفحات التالية إستغلت لإلقاء الضوء علي حدث ليس من موضوع الدراسة الخوض في تفاصيله الدقيقة، وسيكون ذلك علي سبيل الإيجاز للفت عناية القاريء إليه ليراجعه في مظانه إن أراد الوقوف علي تفصيلاته.

ولقد حرصت أن تحمل الصفحات أخبار الولاة الذين تعاقبوا علي «مصر» منذ فتحها الي قيام الأسرة المروانية وحدهم، فلم أتعرض لذكر التفصيلات الدقيقة للأحداث العظيمة التي شهدتها الدولة الإسلامية خلال حقبة الدراسة مثل الثورة علي «عثمان» ثم واقعة الجمل وصفين والدور البارز الذي لعبه «عمرو بن العاص» في قضية التحكيم مكتفيا بالإشارة إلي بعضها بالحاشية كما أسلفنه.لأن ذلك تعني به دراسات توفرت علي عصر الراشدين.

وإن أشارت الصفحات إليها عرضاً، بجمل موجزة، بقصد إلقاء الضوء للقاريء علي الظروف التي جعلت الوالي أو الخليفة يقدم علي هذا أو ذاك من الأعمال أو إصدار القرارات.

ولسوف ترافق الصفحات التالية بعض الباحثين الذين كتبوا عن

«مصر» حتي يقف القاريء علي أرائهم وتفيد من إسهاماتهم ونحن نعد فصول هذه الدراسة . هذا وقد قامت الدراسة علي مقدمة وثلاثة فصول مذيلة بخاتمة فثبت بالمصادر والمراجع وأخر لمحتوي موضوعاتها.

أما الفصل الأول: فعنوانه فتح «مصر» وفيه يجد القاريء صفحاته تعني بالظروف التي لابست الفتح، وماقيل في ذلك من روايات متباينة حول صاحب الرأي في فكرة فتح «مصر«» هو عمرو بن العاص» أم« عمر بن الخطاب» مع ابرازها للخطوات التي قام بها «عمروبن العاص» تباعاً وهو ينتقل من مدينة الي أخري حتي حاز الإسكندرية وعقد المعاهدات مع الروم البيزنطيين . كل ذلك بشكل موجز،نحينا فيه الحديث عن الفتوحات الصغيرة لبعض قري الوجهيين البحري والقبلي لكونها لا تشتمل علي جديد أثر في خطوات الفتح أو حركات مقاومة من قبل أهلها إذ الكثير منها بادرة الي تسليم بلاده لقوات الفاتحين دون قتال.

أما الفصل الثاني: فان الدراسة تعنون له بولاة «مصر» في عهد الراشدين وفيه يجد القاريء تتبعا دقيقاً لأحوال «عمرو بن العاص» في ««مصر»» الوالي للمسلمين عليها وما كان من إنشأته المعمارية وعلاقته بالخليفة «عمر» ثم «عثمان» . ويتناول الفصل بعد ذلك «عبد الله بن سعد بن أبي السرح» بشكل لا يقبل في تفصيلاته علي سلفه «عمرو بن العاص» يلي ذلك الحديث عن ولاة «علي»، وماكان من إضطراب الأحوال في «مصر»، خلال فترة خلافته رضوان الله عليه ، شأنها في ذلك شأن بقية أقاليم الدولة إذ ذاك ثم يطالعنا بعد ذلك الفصل الثالث والأخير لهذه

الدراسة وفيه تؤرخ الصفحات لولاية السفيانيين علي « «مصر» »، فتذكر الملابسات التي صاحبت علاقة «عمرو» بالخليفة «معاوية بن أبي سفيان» حتي جعله أول وال له علي « «مصر» » ثم نذكر بالتتابع الولاة الذين تعاقبوا علي « «مصر» » بعده حتي وفاة «يزيد» ولده.

مثل «عبد الله بن عمرو» و«عتبة بن أبي سفيان» و«عقبة بن عامر الجهني» ، و«مسلمه بن مخلد» و«سعيد بن يزيد».

أما عن المصادر التي أقامت الدراسة فإن منها ماتخصص في تاريخ «مصر» ومنها ماتناول تاريخها في اطار التواريخ العامة للعالم الإسلامي، ومنها ماكان يعني بتاريخ الرجال.

فمن الصنف الأول: نجد علي رأسه كتاب(ولاه «مصر») «لمحمد بن يوسف الكندي»(ت: ٣٥٠) وتقي الدين المقريزي- الخطط ٨٤٥هـ، النجوم الزاهره «لأبو المحاسن بن تغريدي» (ت ٨٧٤)ه- و«جلال الدين السيوطي» (ب) ٩١١هـ- في حسن المحاضرة

ومن الثاني: تاريخ الرسل والملوك الطبري: «أبي جعفر محمد بن جريد الطبري»(ت/٣١٠هـ)- صاحب الكامل في التاريخ ابن الأثير(ت/ ٦٣٠هـ).

أما كتب الرجال فمنها الإصابة الحافظ« شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني»(ت/٨٥٢).

وسير أعلام النبلاء: الأمام «شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي»(٧٤٨) بالإضافة الي المراجع الحديثة ومنها تاريخ الأسكندرية وحضارتها للدكتور/ «سيد عبد العزيز سالم » و«مصر» فجر الإسلام أ.د/ «سيده اسماعيل الكاشف» .

وعلي كل حال فإن هذه الصفحات التي نقرأها ماقمنا بتسطيرها إلا بدافع الحب لدينا وإبراز تاريخ أسلافنا والوفاء لوطننا «مصر» الحبيبة التي شرفها الله بذكرها في القرآن . فإن حظيت المعالجة برضي القاريء بما فيها من أراء وإجتهادات فذلك فضل من الله وإن كان غير ذلك فحسبي بذل الجهد في سبيل نشر التاريخ الإسلامي ليقتدي به اللاحقون من أبناء أجيال المسلمين والله ولي التوفيق.

د/ محسن سعد عبد الله

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد

بكلية اللغة العربية

الفصل الأول

فتح «مصر»

يحسن بنا قبل الحديث عن فتح «مصر» والعوامل التي جعلتها ولاية إسلامية يرسل اليها الخليفة من حاضرة الدولة الإسلامية الولاة لحكمها

ذكر الماعة عن جغرافية البلاد لنتبين كيف أن الفاتحين المسلمين إستطاعوا بفضل إلمام قائد الجيش الإسلامي، بجغرافية البلاد، وسلوك أيسر السبل للسيطرة عليها وانتزاعها من الأمبراطورية الرومانية لترفرف عليها راية السلام. «فمصر» تمتد من خط ٣١ الي ٢٢ درجة عرضا، وتبلغ مساحتها ١١٠و٣٨٦ من الأميال المربعة، غير أن الجانب الأكبر من هذه المساحة صحراء غير مأهولة، ولا تشغل «مصر» الحقيقية «مصر» التي يستطيع أن يعيش فيها البشر ويزرعوا الأرض سوي ١٣.٥٧٨ ميلا مربعا.

ولقد قسم الجغرافيون المناطق التي يمكن إستغلالها في الزراعة وبالتالي يستطيع السكان ممارسة حياتهم اليومية المستقرة علي أرضها الي ثلاثة أقسام أولها الدلتا وهي تربة غرينية تكونت من الطمي الذي كان نهر النيل يجلبه معه ويرسيه عندما يتصل بالبحر.

وثانيا: مناطق الواحات والزراعة فيها تقوم علي المياه الجوفية والأمطار التي تسقط علي أرضها. ومن الطبيعي أن تكون الكثافة السكانية في المنطقة الثانية أقل منها في المنطقة الأولي.

ثالثها:- وادي النيل، وهو في الواقع خانق بين التلال التي تكون حافة الصحراء الغربية علي جانب، وحافة الصحراء الليبية علي الجانب الآخر. وهذا الوادي ضيق جداً، ويبلغ أقصي اتساع له حوالي تسعة أميال، وينكمش في «مصر» العليا الي ميل أو ميلين، ويضيق في بعض الأماكن فلا يزيد عن شريط ضيق من الأرض المنزرعة علي احدي ضفتي النهر فقط.

و«مصر» في شكلها تشبه سمكة ذات رأس ضخم وذيل مثناه في الطول، ويبلغ طول هذا الذيل من «القاهرة» حتي الحدود الحديثة شمالي وادي حلفا حوالي ٥٦٠ ميل اذا سرنا في خط مستقيم، ولكن اذا سرنا مع منحنيات الوادي فهو يبلغ حوالي ٧٦٠ ميلا.

أما المسافة الي أسوان حيث كانت حدود «مصر» القديمة تنتهي في الواقع خلال فترات طويلة من تاريخها، فلا تكاد تبلغ ٥٥٠ ميلاً[١]

يتبين لنا مما سبق أن الصحاري التي تشكل غالبيته أرض «مصر» خالية من السكان لندرة المياه بها اذ ليس فيها سوي جماعات صغيرة من البدو ترعي بعض الكلأ المتنافر هنا وهناك.

---

(١) ابن ظهيرة:- الفضائل الباهرة في محاسن «مصر» والقاهرة(٩، ١٠)
عبد اللطيف أحمد علي/ «مصر» من الاسكندر الأكبر/(٢، ٣)
ابن تعزي بردي/ النجوم الزاهرة١ج١/٣٧

ومن ثم فان البوابة الطبيعية التي كانت تأتي منها جيوش الغرباء الي «مصر» هي شبه جزيرة سيناء.

ومع هذا فان «مصر» بوضعها الجغرافي الذي المعنا الي ابراز معالمه في عجالة كانت محط أنظار الدول الكبري قبل قيام الدولة الإسلامية منذ أقدم العصور. وآية ذلك أن البيزنطيين لما تمكنوا من انتزاع «مصر» من أيد البطالمة في الأول من أغسطس سنة ٣٠هـ، أصدر السناتو (مجلس الشيوخ) قراراً باعتبار هذا اليوم عيداً وطنياً في «روما» ونقطة بداية التقويم المحلي في «مصر»[١]. ومنذ ذلك الوقت صارت «مصر» ولاية «رومانية» ثم «بيزنطية»، بل أعظم ولايات الأمبراطورية تدين بديانة الوثانية الي أن كان ماكان من أمر القديس« مرقص» الذي نشأ في فلسطين، وخالط المسيح عليه السلام وكان واحداً من حواريه، فقدم الي «مصر» وبذل جهوداً مضنية في أمر دعوة المصريين لنبذ الوثنية وإعتناق المسيحية.

ومن الطبيعي اذن والحالة هذه ان يؤدي نشاط«مرقص»الديني الي صدام بينه وبين عامل الإمبراطورية الرومانية علي «مصر»، فلاحقوه في كل مكان حتي امسكوا به وفصلوا رأسه عن جسده، وأصبحت هذه الحادثة عامل من العوامل الهامة التي أدت الي انتشار المسيحية في «مصر».

---

(١) عبد اللطيف أحمد علي: «مصر» والأمبراطورية الرومانية/٤١
صابر محمد دياب/ تاريخ «مصر» الأسلامية وحضارتها(٩،٨)

وكان من المأمول منها أن تخيف أولئك الرجال الذين اعتنقوا هذا الدين الجديد كما اعتقدت «روما»[1]. تلا ذلك انتشار الدين المسيحي في الأمبراطورية الرومانية، وكان لذلك الإنتشار أثار عظيمة علي تاريخ «مصر»، فإن الإنقسام حدث بين الكنيسة المصرية التي عرفت باليعقوبية وبين الكنيسة الرومانية المعروفة بالملكانية حول طبيعة المسيح، اذا الكنيسة المصرية اليعقوبية تراها طبيعة إلاهية وبشرية في السيد المسيح امتزجتا، فكان فيه طبيعة واحدة.

وعليه فلم يعد انسانا كاملاً، فكان عند التجسد ذا طبيعتين، واما بعده فصار ذا طبيعة واحدة[2]. أما الكنيسة الملكتية فانها تقول عنها [ان الإبن وهو السيد المسيح مولود من الأب قبل الزهور، وغير مخلوق، وهو جوهره، ونوره].

واتحد الإبن بالإنسان المآخوذ من مريم، فصارا واحدا هو المسيح[3]. ظل هذا الخلاف المذهبي يتفاقم يوماً بعد آخر حتي أكلت ناره الملكانيين واليعاقبة علي حد سواء.

وكان امبراطور روما يعمل علي نصرة مذهبه بالقوة حتي يحفظ

---

(١) عبد الخالق سيد ابو رابيه / عمرو بن العاص/ ٨٨. ٨٩

(٢) عبد الخالق أبو رابيه/ عمرو بن العاص/٩٦/ أبو زيد شلبي/ الخلفاء الراشدون/١٣٩

(٣) عبد الخالق أبو رابيه/ عمرو بي العاص/ ٩٧

للإمبراطورية هيبتها في أعين الرعية مما جعل المصريين يعانون لا من ضيق في إعلان العقيدة بل ضيق في العيش وحرمان من العمل في الأمبراطورية فزاد ذلك الأمر أحوالهم سوء علي سوء.

وقد واتتهم الفرصة ليعبروا عن رأيهم ويدلوا بدلوهم حين دب النزاع ونشب الصراع بين الأمبراطور (فوقاس) و(هرقل)، فساعدوا قائد الأخير(نيكيتاس)[1] ضد الأمبراطور فمنعوا عن «روما» القمح إذ كانت «مصر» في ذلك الوقت سلة الغذاء للإمبراطورية الرومانية، لما تتمتع به من من خصوبة التربة كما أشرنا، ووفرة الغلات التي تفيض عن حاجة السكان، فكانوا عاملا ليس بالهين في جعل هرقل يحرز انتصاره علي غريمه الأمبراطور(قوقاس) ويتربع علي عرش الأمبراطورية الرومانية، فاستبشر المصريون خيرا بقدوم هرقل لعلهم يستطيعون تنفس الصعداء في عهده.

بيد أن هذا الرجاء الذي راود أنفسهم غداً سرابا، فان ذلك أن الأمبراطور هرقل، بعد أن إنتصر في بداية حكمه علي كسري فارس، واسترجع بلاد« الشام» و«مصر» من يده، أراد أن يلتفت الي المعاندين والمنشقين من رعاياه إذ غره النصر فأمعن في طغيانه، وغلا في مطالب الطاعة من شعبه، وخيل اليه أن استقرار الأمر له مرهون بتوحيد المذاهب المسيحية المتطاحنة في امبراطوريته التي انقسمت الي مسيحية ملكانية،

---

(١) صابر دياب: تاريخ «مصر» الأسلامية وحضارتها/ص٩

وأخري يعقوبية.[1]. ثم بعد ذلك رأي الأمبراطور «هرقل» حسم الخلاف الديني فأسند الرئاسة الدينية والسياسية لشخص واحد هو «قيرص» الذي عرفه مؤرخو العرب باسم « المقوقس» الذي كان علي الرعية في عهده ان تختار أحد أمرين أما الدخول في مذهب الأمبراطور «هرقل» وهو مذهب الأراده الواحدة، وإما النكال والعذاب للمخالفين.

وقد هرب «هرقل» قبل وصول «المقوقس» «للأسكندرية» ٦٣١م البطرك القبطي« بنيامين» خوفا مما سيحل به من شدائد ونكال لأنه كان مما ينادون بسيادة المذهب اليعقوبي علي المذهب الملكاتي.

ومما لاجدال فيه ان «المصريون» قاسوا كثيرا من إضطهاد قيرس« المقوقس» صمد كثير منهم ومن بينهم الأب«مينا » أخ البطريك« بنيامين»[2]. وعلي كل حال فان « المقوقس» لم ينجح في جعل المصريين والروم يعيشون في وئام بعد الجرح الذي أصابهم به الخلاف الديني حول طبيعة المسيح، ولأنه يريد أن يحظي بمكانة مرموقة لدي الأمبراطور، فقد أنزل بالمصريين صنوفاً من العذاب من أجل حملهم قصرا علي إعتناق المذهب الديني الجديد الذي نادي به هرقل فازدادت أمور المصريين سوءً علي سوء

---

(١) عبد الخالق أبو رابيه/عمرو بن العاص/٩٧ - د/ عبد المقصود نصار/ الخلفاء الراشدون/٦٩.

(٢) صابر دياب: تاريخ «مصر» الإسلامية/ (٩، ١٠)- أبو زيد شلبي/ الخلفاء الراشدين/ ١٤٠

واتسعت الهوة بينهم، وبين الرومان مما جعل السبل مهيئة أمام المسلمين حين قدموا لفتح البلاد، ليس هذا فحسب بل إن حرمان المصريين من المشاركة الفعلية في إدارة بلادهم، ولو بالحدود الدنيا من أشكال الإدارة، مما أفقدهم الكثير من التعاطف مع الرومان، ناهيك عن هجرة أهل الريف لقراهم بشكل جماعي حتي ينقضوا عن كواهلهم الأعباء الضرائبية التي فرضتها عليهم الأمبراطورية.

لكل ماتقدم كان الفتح الأسلامي حين دق أبواب «مصر» طوق نجاة لأقباطها إستطاعوا به الخلاص من ظلم الإمبراطورية[1]. ومن هنا فإن الأقباط لم يتصدوا للمسلمين بل كانوا بهم مرحبين.

عمرو بن العاص يعرض علي الفاروق فتح «مصر»

إعتاد «عمر بن الخطاب» أن ينظر بنفسه أمور البلاد المفتوحة، اذا ماوجد أن مابها من أحوال تستدعي منه مغادرته حاضرة دولية والذهاب اليها ليبني قراراتها التي يتخذها علي أرض المواقع المشاهد له.

---

(١) عبد الخالق أبو رابيه/ عمرو بن العاص/(١٠٩)- صابر دياب: تاريخ «مصر» الإسلامية وحضارتها/٨. ٩ -
أبو زيد شلبي/ الخلفاء الراشدون/١٣٩ - عبد المقصود نصار/ الخلفاء الراشدون/٦٩. ٧٠

ومن ثم فقد زار بلاد الشام غير مرة ليدبر أمورها[1] فاهتبل «عمرو بن العاص» فرصة وجوده مع الخليفة بالجابية [2] قرب دمشق، فعرض عليه قيام المسلمين بفتح «مصر». ولنا أن نتساءل عن الأسباب التي استند اليها «عمرو بن العاص»، وهو يعرض ذلك الأمر علي أمير المؤمنين.

والجواب عن ذلك ماقاله غير واحد من الباحثين من أسباب برروا بها طلب«عمرو بن العاص»من أمير المؤمنين الموافقة علي فتح «مصر»، وهي:

(١) كانت «مصر» درة التاج في الدولة الرومانية لكثرة خيراتها، ووفرة غلاتها و«عمرو» أعرف الناس بأحوالها وظروفها، فقد عرفها بزيارته لها، ومعرفة ماكان يجري بها من الفتن والإضطرابات والإضطهادات التي أضعفها الأمر الذي يساعد علي يسر الفتح، فقد كان قريبا منها وهو في الشام، ويعرف أن القبط إن لم يساعدوا فانهم سيقفون موقفاً سلبياً موقف المنتظر، فلا حماسة تدفعهم الي مناصرة الروم، ولا رابطة دينية أو جنسية أو لغوية تربطهم بالحاكمين الرومان، وانما كانت العلاقات السيئة والظلم بكل أنواعه الواقع عليهم الأمر الذي يجعل موقفهم علي الأقل سلبياً. (٣)

(١) اليعقوبي تاريخه /ج٢/١٤٧- الذهبي: العبر/ج١/١٨- ابن تغري بردي/المحاسن الزاهره/ج١، ٥ ،٦- السيوطي: حسن المحاضرة/ج١/١٠٦

(٢) بكسر الباء وياء خفيفة قرية من أعمال دمشق(ابن عبد الحق/مراصد الإطلاع/ج١/٣٠٤- أحمد عطية الله/ القاموس الإسلامي/ج١/ ٥٥٠

(٣) عبد المقصور/ نصار الخلفاء الراشدون ص ٦٩، ٧٠ - عبد الخالق ابورابيه/عمروبن العاص/٨٣

- السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ الدولة العربية / ٢١٦.

(٢) أن الأرطبون (أريطبون) وهو داهية الروم بعد هزيمته في بيت المقدس فر الي «مصر»، وأخذ يعمل علي تنظيم قواتها، ليجعل منها قاعدة حربية لإسترداد البلاد التي فتحها المسلمون في الشام.

(٣) أن «مصر» هي الإمتداد الطبيعي الجنوبي لفلسطين وفي فتحها محافظة وتثبيت لأقدام المسلمين في الشام. ومنها يمكن المسلمين أن يثبوا الي افريقية إن أرادوا.

(٤) وفضلا عن ذلك فان فتحها يحقق للمسلمين أهم غرض من فتوحاتها وهو نشر الإسلام[١] ومهما يكن من أمر هذه المبررات التي علل بها الباحثون طلب «عمرو» من الخليفة الموافقة علي فتح «مصر»، فإن المؤرخين ذكروا لنا أكثر من رواية حول ماإذا كان «عمرو بن العاص» قد طلب هذا من خليفته أم أن «عمر» هو الذي أمره بالتوجه الي «مصر» لعلمه أن «عمرو» يعرف من أمورها أكثر مما يعرفه الصحابة الأخرون، فقد زارها غير مرة للإتجار[٢]. ليس هذا فحسب بل إن بعض الرواة ذكروا أن «عمرو» صار الي «مصر» بالجيش الإسلامي من تلقاء نفسه دون إذن من الخليفة.

فمن الأول ماذكره اليعقوبي وغيره من أن «عمرو بن العاص» قال «لعمر بن الخطاب» حين كان بالجابية سنة ثماني عشرة من الهجرة.

---

(١) أبو زيد شلبي/ الخلفاء الراشدون/ ١٤١ ، ١٤٢

(٢) السيوطي: حسن المحاضرة /ج١/٩٤:٩٦

(ياأمير المؤمنين تأذن لي في أن أسير الي «مصر» فإنا إن فتحناها كانت قوة للمسلمين، وهي من أكثر الأرض أموالاً وأعجزه عن القتال)

ولم يزل يعظم أمرها في نفسه، ويهون عليه فتحها حتي عقد له علي أربعة آلاف كلهم من «عك»، وقال له: سيأتيك كتابي سريعا، فإن لحقك كتابي آمرك فيه بالأنصراف عن «مصر» قبل أن تدخل شيئا من أرضها، فانصرف، فإن دخلتها ثم جاءك كتابي فامض واستعن بالله، وسار «عمرو» مسرعاً، فلما كان برفح [1] وهي آخر عمل بفلسطين، أتاه رسول «عمر» ومعه كتابه فلم يفض الكتاب، ونفد حتي صار الي قرية بالقرب من العريش وقرأ الكتاب، ثم قال: من أين هذه القرية؟ قالوا من «مصر»! قال: فإن أمير المؤمنين أمرني إن أتاني كتابه، وقد دخلت شيئاً من أرض «مصر»، أن أمضي لوجهي وأستعين بالله[2].

ومن الثاني: مارواه عبد الملك بن مسلمة عن الليث بن سعد إن «عمر بن الخطاب» كتب الي «عمرو بن العاص» بعد ما فتح الشام ان أندب الناس إلي المسير معك إلي «مصر» فمن خف معك فسر به وبعث به مع «شريك(٣) بن عبده»، فندبهم «عمر»و فأسرعوا الي الخروج معه، ثم إن

(١) بفتح أوله وسكون أخره وحاء مهملة منزل في طريق «مصر»،بعد الداروم، بينه وبين عسقلان يومان لقاصد «مصر» ابن عبد الحق: مراصد الإطلاع/ج٢/٦٢٣

(٢) اليعقوبي/ التاريخ/ج٢/١٤٧، ١٤٨- السيوطي:حسن المحاضره/ج١/١٠٦

(٣) ابن مغيث بن عجلان البلوي شهد بدر مع أبيه أخو البراء بن مالك لأمه صاحب أول لعان في الإسلام لم يقف له علي تاريخ وفاه - ابن الأثير/أسد الغابه/ج٢/٣٨٨- ابن حجر / الإصابة/ج٢/ص١٥- ابن الجوزي المنظم/ج٤/ ٢٩١، ٢٩٢

«عثمان بن عفان» دخل علي «عمر بن الخطاب» فقال «عمر»: كتبت إلي «عمرو بن العاص» يسير إلي «مصر» من الشام فقال «عثمان»: [ياأمير المؤمنين إن «عمرو المجروفية»[1] إقدام وحب للإمارة فأخشي أن يخرج في غير ثقة ولا جماعة فيعرض المسلمين للهلكة رجاء فرصة لايدري أن تكون أم لا فندم «عمر بن الخطاب» علي كتابة الي «عمرو» إشفاقا مما قال «عثمان» فكتب إليه إن أدركك كتابي قبل أن تدخل «مصر» فارجع إلي موضعك وإن كنت دخلت فامض لوجهك[2].

ومن الثالث: ماذكره غير واحد من المؤرخين في إحدي روايتها [إن «عمروبن العاص» كان بفلسطين، فقدم بأصحابه إلي «مصر» بغير إذن «عمر» وكتب إليه يعلمه، فكتب «عمر» إليه فأتاه كتابه وهو دون العريش، فلم يقرأ كتابه حتي بلغ العريش فقرأه فإذا فيه! من «عمر بن الخطاب» إلي «عمرو بن العاص»: أما بعد

فإنك سرت إلي «مصر» ومن معك وبها جموع «الروم »وإنما معك نفر يسير ولعمري لو كانوا بكل أمتك ماكانوا لذلك وماسرت بهم، فإن لم تكن بلغت «مصر» فارجع. فقال عمرو: الحمد لله، أية أرض هذه؟ قالوا: من

(١) المقامره أو المغامره من المرأ دون أن يعقل العواقب.- ابن منظور: لسان العرب(ماده مجر).

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح «مصر» وأخبارها/٥٨- السيوطي:حسن المحاضره/ج١/١٠٨-الذهبي:تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والإعلام /١١٢

«مصر» فتقدم كما هو](١). وقد انبري أحد الباحثين المحدثين لمناقشة هذه الروايات التي اسلفناها فرجح الأخذ بالرواية الأولي التي ذكرها المؤرخون في فتح «مصر» دون غيرها. فقال إن هذه الروايات إنما يرفضها العقل بغير عناء كبير، ذلك أن الخليفة «عمر» لم يكن الرجل الضعيف الهش، بل كان رجلاً حازماً ذا هيبة وشدة ورهبة، لا يتهاون مع العصاة من رعيته، ولا يمكن أن يتصور أحد أن قائداً مع من قواده، ولاسيما الداهية الأريب« عمرو بن العاص» يجرؤ علي السير بجنده في جنح الليل لفتح «مصر» بغير إذن من أمير المؤمنين .

ومنذ سنوات قليلة خلت عزل أمير المؤمنين «عمر» قائده الفذ« خالد بن الوليد» الملقب بسيف الله المسلول أعفاه من قيادة جيوش المسلمين علي مابه من جرأة وعبقرية، وما حظي به من اقتنانهم وحبهم، والإعجاب المفرط، بعظمته الحربية، ورغم ذلك لم يفكر «خالد» العظيم في أن يتمرد علي الخليفة، وقتئذ بل اعتزل القيادة من فوره وهو كظيم حزين، فلو أن «عمرو بن العاص» قد خرج بجيشه إلي «مصر» دون إذن من الخليفة «عمر» لوجد فيه خير من يؤدبه علي عصيانه، أضف إلي ذلك أن خروجه إلي «مصر» علي هذا النحو الفريد كان سيعطي جنوده المسلمين فرصة للتمرد علي

(١) ابن عبد الحكم/ فتوح «مصر» وأخبارها/٥٧- الكندي: ولاة «مصر»٣٠/٣١- النويري نهاية الأرب ج١٩/٢٨٦
السيوطي: حسن المحاضرة/ج١/١٠٨

طاعته مصداقا لقول الله تعالي:(وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم).

فلا يساورنا ريب إذن من أن مسيره «عمرو بن العاص» إلي «مصر» كانت بإذن صريح من أمير المؤمنين «عمر بن الخطاب» ورضائه ومباركته، ولا مجال هنا لتصديق تلك الروايات المتهافته التي تحاول أن تخلق خلافا بين الخليفة «عمر» وقائده «عمرو بن العاص» حول الزحف إلي «مصر» وماكانت هذه المعارك الحربية الضخمة التي دارت بين جيش «عمر» وجيش الروم في «مصر» لتشب في جو من التردد والتمرد. كالذي تصوره هذه الروايات السقيمة، انما الرأي القائل بأن الأمر قد استقر بين الخليفة «عمر» وقائده «عمرو بن العاص» علي فتح «مصر» هو الرأي الذي لا يجانبه الصواب ولا يجافيه المنطق.[1]

والنفس تميل الي الأخذ بما ذهب اليه هذا الباحث الكبير لأنه يتوافق والتاريخ المعلوم عن «عمر بن الخطاب» - رضوان الله عليه.

فنجزم بجعل الرواية الأولي راجحة والأخيرة غير مقبولة لأن بها مايوهنها، فالنسج القصصي يبدو لقارئها ظاهراً وهو يطالعها فلست أدري كيف يتحرك «عمرو» بجيش من بلاد الشام الي «مصر» دون أن يسأله جنده الذين ساروا معه أو أولئك الذين بقو في الشام لحمايته من وجهته؟!

---

(١) عبد الخالق/ أبو رابيه / عمرو بن العاص/ ٨٥، ٨٦

والأمر الذي إستند إليه في سيره هذا وقول الرواية إن «عمر» لم يعرف عن أمر هذا الجيش الذي تحرك من بلاد الشام شيئاً، حتي دخل تخوم مصر قولٌ لا يستقيم، فإن الفاروق كان حريصاً علي معرفة دقائق أمور أقاليم الدولة الإسلامية وما يدور فيها بواسطة عماله وسفارته التي كانت تأتيها من حاضرة الدولة الإسلامية .

ونحن نسلم للباحث الكبير بما قاله من أن «عمرو» وغيره من قادة المسلمين يعرفون عن «عمر» شدته في الحق، وهو يحاسب رجاله لا فرق عنده بين صغير وكبير وبين عشيرة أو قبيلة ينتمي اليها هذا أو ذاك لأن كل ما يعنيه هو تحقيق صالح الأمة الاسلامية ، فلا يتصور والحالة هذه أن يعمد «عمرو بن العاص» الي اغضاب أمير المؤمنين بدخول مصر دون ان يحصل علي موافقته ، ولا سيما وهو يعرف يقينا انها صارت ملاذا للروم الذين هاموا علي وجوههم من بلاد الشام بعد الانتصارات المتلاحقة التي أحرزها المسلمون عليهم ، ففتحها إذن ليس بالأمر الهين الذي يحتاج الي مغامرة حتي يفعل «عمرو بن العاص» ما ذكرته الرواية الأخيرة .

ولا نجد تعارضا بين الرواية الأولي والثانية .

لأن الأول نسبت إذن «عمر» «لعمرو» بالسير إلي «مصر» والثانية تصرح بموافقته أمير المؤمنين علي توجه الجيوش الإسلامية اليها فلا مانع والحالة هذه أن يكون «عمرو بن العاص» قد كلم أمير المؤمنين غير مرة عن فتح مصر في لقاءات سابقة قبل هذا اللقاء الذي ذكرته الرواية الأولي عند

الجابية، فكان الإذن أو الكتاب من أمير المؤمنين «لعمر» مبنياً علي ما سبق من حوار بين القائد وأمير المؤمنين حول الضرورة الاستراتيجية والاقتصادية التي تجعل المسلمين يبادرون بالفتح لهذه البلاد .

ولعل السبب الذي جعل «عمر بن الخطاب» يبعث بكتاب الي «عمرو بن العاص» وهو في الطريق الي «مصر» كما ذكرت الروايتين الاولي والثانية راجع الي أن الخليفة «عمر» أراد أن يطمئن علي حالة الجنود في جيش «عمرو» من الناحية المعنوية ، ويتأكد من قدرتهم ويقف علي مدي استعدادهم للقيام بعملية فتح جديد قبل ان يأخذوا قسطا وافرا من الراحة ، ويستعيدوا لياقتهم البدنية لمثل هذا المجهود الحربي الكبير ولهذا لجأ الي موضوع الكتاب وكان غرضه في رأينا إذا وصله الكتاب بعد دخول الجيش حدود مصر ،فمعني هذا انه قطع المسافة التي بين فلسطين وحدود مصر في المدة الزمنية التي قدرها باعتباره «عمر» القائد الأعلي لهذه الجيوش وان اللياقة البدنية للجنود كاملة ، والحالة المعنوية مرتفعة ويستطيعون مواصلة الفتح والسير الي داخل «مصر»[1].

علي كل حال فإن «عمرو بن العاص» ما اطلع علي الكتاب إلا وهو بأرض مصر كما ذكرت الروايات التي سلفناها فواصل سيره حتي التقي

---

(١) أحمد الشامي : الخلفاء الراشدون (٢٤٢) - عبدالمقصود نصار الخلفاء الراشدون (٧٢)

بحامية الروم عند الفرما[1] فخاض حربا معهم استغرقت ثلاثة أشهر[2] احرز بعدها الانتصار علي الروم.

وحاز المدينة فكانت أول مدينة من مصر تقع تحت سيطرة المسلمين الفاتحين .

وسار العرب بعد الفتح الفرما - جنوبا في برزخ السويس (القلزم) حتي موضع مدينة القنطرة وهناك كان أمامهم طريقان :

١ - اما أن يسيروا صوب الشمال ، ويعبروا بحيرة المنزلة ويصلوا الي مدينة تنيس، ويهاجموا اقليم الدلتا ولكن العرب لم يقدروا علي هذا الطريق بسبب حاجتهم الي السفن وإلي الخبرة الفنية التي تمكنهم من اقامة القناطر والمعابر .

٢ - أما السير علي حافة الصحراء علي طريق السويس الصحراوي وهذا ما فعله العرب لتوافقه مع البيئة التي نشأوا بها من ناحية ومن ناحية أخري خبرتهم الحربية في حروب البر.

ومن ثم بدأوا بالقصاصين ثم مدينة التل الكبير ومنها صار الي بلبيس[3].

---

(١) بالتحريك والقصر في شرف مصر تسمي (بلوزيوم) - ابن عبدالحق - مراصد الاطلاع / حـ ٣ / ١٠٣١.

الترمياني : أزمنة التاريخ الاسلامي / حـ ٢ / ١٠٧٠.

(٢) البلازري : فتوح البلدان / حـ ١ / ٢٤٩.

(٣) بتكرير الباءين ، وسكون اللام وياء وسين مهملة كذ ضبطه نصر الاسكندراني وإن والعامة تقول بلبيس مدينة بينها وبين فسطاس مصر عشر فراسخ علي طريق الشام ابن عبدالحق : مراصد الاطلاع - حـ١/ ٢١٦.

فاقتتلوا وحاميتها قتالا يسيرا حتي حازوها ، فشجع ذلك الانتصار «عمرو» ومن معه علي المضي قدما، حتي وصلوا الي «أم دنين»[1] ولم تكن معركة المسلمين عندها علي غرار معركتهم عند «الفرما» و «بلبيس» فقد استعصت عليهم أم دنين بشكل الجأ «عمرو بن العاص» الي طلب المدد من الخليفة الفاروق حتي يتقوي به في قتاله للروم[2].

فإستجاب له «عمر بن الخطاب» وأرسل إليه مدداً بلغ أربعة آلاف رجل، علي كل ألف رجل منهم رجل مقام الألف، «الزبير بن العوام» و «المقداد بن الأسود»[3] و «عباده بن الصامت»[4] و «مسلمة بن مخلد».

وكان «عمرو بن العاص» وهو ينظر المدد قد التقي والروم البيزنطيين

(١) هي المقس قديما وكانت علي النيل، وموقعها الان جامع اولاد عنان وشارع كامل وحديقة الازبكية، الكندي: ولاه مصر / حـ ١ / ٣١.

(٢) ابن عبدالحكم : فتوح مصر أخبارها / ٦٠، ٦١ - اليعقوبي / تاريخه حـ ٢ / ١٤٨- صابر دياب : تاريخ مصر الإسلامية / ١٩ .

(٣) ابن ثعلبه بن مالك بن ربيعه القضاعي الكندي نسب الي ابن الاسود لانه تربي في حجر الاسود بن عبد يغوث علي أحد الاقوال عاش سبعين سنة وشهد بدر والمشاهد توفي سنة ثلاثة وثلاثين وصلي عليه عثمان بن عفان ، الذهبي / سير اعلام النبلاء / حـ ١ / ٣٨٦

(٤) ابن قيس بن اصرم بن فهر بن ثعلبه شهد العقبة الأولي والثانية وكان نقيبا علي القوافل وأخي رسول الله صلي الله عليه وسلم بينه وبين ابي مرثد البغوي وشهد بدرا والمشاهد كلها توفي سنة اربع وثلاثين ، ابن الأثير : اسد الغابة / حـ ٣ / ٥٥ ، ٥٦ ، العسقلاني ، الاصابة حـ ٢ / ٢٦٨، ٢٦٩.

وكان «عمرو بن العاص» وهو ينظر المدد قد التقي والروم البيزنطيين في معركة حامية علي مقربة من حصن «باب اليون» جعلت الروم يفرون امامهم، بعد ما دارت عليهم الدائرة ملتجئين إلي هذا الحصن المنيع[1].

ظل «عمرو بن العاص» يحاول الاستيلاء علي هذا الحصن لما له من أهمية استراتيجية لدي الروم، حيث لجأت قواتهم إليه ، ومعني أن يفتتحه العرب المسلمون أن الطريق الي عاصمة مصر إذ ذاك الاسكندرية يصبح ميسورا لهم .

اما بالنسبة للعرب، فان الحصن يقع علي الضفة الشرقية لنهر النيل، حيث تمتد الصحراء منها بلا انقطاع حتي الجزيرة العربية ، وهذا يعني دوام وصول الامدادات إليهم من حاضرة الدولة الاسلامية .

يضاف الي هذا أن هذه القلعة كانت تسيطر علي الدلتا كلها ، ولم يكثر العرب ميالين الي العمل داخل منطقة القنوات والأراضي الزراعية المروية ولعلهم كانوا عاجزين عن العمل فيها[2] فرأوا ان الاستبسال أمام الحصن لفتحة سيجعلهم في موقف أفضل في قتال الروم، الأمر الذي يمكنهم

(١) ابن عبدالحكم/ فتوح مصر واخبارها / ٢٤٤ - اليعقوبي تاريخه / حـ ٢ / ٤٨.
البلازري : فتوح البلدان حـ ١ / ٢٥٠ ابن تغري بردي / النجوم الزاهره حـ ١ / ٢١.
السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ الدوله العربية / ٢١٧.
(٢) جون باجوت : فتوح الدوله العربية / ٣٦١.

من السيطرة علي الدلتا بسهولة ، استمر «عمرو بن العاص» يقوم بمحاولات هجومية علي حصن بابليون صباح مساء دون جدوي ، حتي جاء المسلمين المدد فاستبشروا خيراً بوصول إخوانهم إليهم.

فلما رأي الزبير حرج الوضع بالنسبة للمسلمين، ووقف علي الأهمية الاستراتيجية لحصن بابليون صمم علي القيام بعلم فدائي في هذا الفتح ، لعله يستطيع به جعل المسلمين يحوزونه ، فقال: إني أهب نفسي لله ، وأرجو أن يفتح الله علي المسلمين فوضع السلم ، وتسلق السور ومعه رجال باعوا أنفسهم في سبيل الله ، فخروا علي الروم الذين لم يشعروا الا وهم بينهم ، يقاتلونهم ففتحوا أبواب الحصن للمسلمين ، الأمر الذي ألجأ «المقوقس» الي عقد صلح مع «عمرو بن العاص» يدفع بمقتضاه كل رجل من القبط دينارين للمسلمين ، حتي يأمن القبط المقيمين بالحصن علي أنفسهم.(١)

وهكذا استطاع المسلمون فتح هذا الحصن بعد جهد كبير بذلوه أمامه بسبب قوة إيمانهم بربهم، ذلك الايمان الذي حملهم مسئولية نشر الدين في البلاد المجاورة للجزيرة العربية .

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها / ٦١ ، اليعقوبي : تاريخه حـ ٢ / ٤٨.
- ابو زيد شلبي : الخلفاء الراشدون / ١٤٣، ١٤٤ - ابن تغر بردي : النجوم الزاهرة / حـ ١ /٢٤، ٢٥.
- أحمد الشامي : الخلفاء الراشدون / ٢٤٤ .
- ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة / حـ ١ / ١٠ .

بيد أن بعض المستشرقين حاول التشكيك في القوة الايمانية لدي المسلمين والتي بسببها كانت الغلبة لهم علي القوات الموجودة بالحصن ، بالرغم من التباين بينهم ، وبين البيزنطيين في العدد والعتاد .

فعزا نجاح المسلمين في فتح حصن بابليون وطلب «المقوقس» الصلح من «عمرو بن العاص» إلي عوامل داخلية في الدولة البيزنطية إذ ذاك، تذكر أن المسلمين حين حاصروا حصن بابليون أنشبت المنية أظفارها في امبراطور «بيزنطة» هرقل سنة احدي واربعين وستمائة م.

فطلبت زوجته «مارتينا» السلطنة لنفسها، ولكنها اضطرت تحت وطأة المعارضة الشعبية الي الانسحاب من مسرح الأحداث العلني ، والي الاقتناع بتأييد ادعاءات ولدها «هيرافليوناس» في عرش الامبراطورية ، غير أن هذا التأييد لم يؤتِ ثماره المرجوة في ذلك الوقت ، حيث إن قسطنطين ولد هرقل من زوجته الأولي «يودوكيا»، كان اليه ولاية عهد أبيه علي الامبراطورية ، ومن ثم كانت كفّته راجحة علي «مارتينا» وولدها، فجلس علي العرش بعد وفاة أبيه، ولم يقدر «لقسطنطين» علي أي حال أن يظل اكثر من مائة وثلاث أيام في الخامس والعشرين من مايو عام إحدي وأربعين وستمائة م، وكان قبل موته قد استدعي «المقوقس» من منفاه و «يتيودور» من الاسكندرية ليشاورهما في وضع مصر.

ولم تكد تعلن وفاة «قسطنطين» حتي تمكنت «مارتينا» من إعلان ولدها «هيرافليوناس» البالغ من العمر خمسة عشر عاما إمبراطوراً أو حد

للأمبراطورية ، ولكن «قسطنطين» كان قد خلف ولدين أكبرهما يدعي «كونستانس»، وكان قد بلغ الثانية عشرة من عمره ، وزحف «فالنتاين» قائد جيش «الروم» في «الأناضول» علي العاصمة، وتوج بالقوة «كونستانس» شريكاً في الحكم الامبراطوري «لهيرافليوناس» وأعيد «المقوقس» في غضون ذلك الي مصر .

ويبدو أن «مارتينا »، وقد إنهمكت في الدسائس لتنصيب ولدها امبراطوراً، كانت راغبة في إنهاء الحرب مع العرب وتسليمهم مصر ، ومن المعقول أن يكون «المقوقس» نفسه قد أقنع «مارتينا » و «هيرافليوناس» الشاب بضرورة تسليم مصر ، إذ أن الحماسة التي أبداها في تنفيذ هذه الخطة ، تشير بوضوح إلي أنه كان اكثر من مجرد منفذ للتعليمات الرسمية(١).

والإنصاف يدعونا للقول إن العوامل التي ذكرها هذا المستشرق لامراء تؤثر في معنويات الجند البيزنطيين وهم يدافعون عن حصن بابليون .

بيد أن هذا لم يكن السبب الوحيد الذي يجعلهم يتهاونون في الدفاع عن حصنهم ، وتسليم أنفسهم لعدوهم ، إلا أن يكون ذلك لأمر خارج عن إرادتهم ونعني به هذه القوة الايمانية الخارقة التي رأوها في المسلمين وهم يراقبونهم عن بعد خلال مدة حصارهم للحصن .

---

(١) جون باجون : الفتوحات العربية / ٣٧٠.

والذي يدلك علي صحة ما ذهبنا اليه هو أن «المقوقس» حين فر من الحصن، ولجأ إلي الجزيرة، بعث رسلاً لمفاوضة «عمرو» حتي يرحل ومن معه عن مصر، مقابل مال يعطيه البيزنطين لهم ، فلما جاءت الرسل اليه يجرون ذيول اخفاق مسعاهم فسألهم عن حالة المسلمين قائلاً: كيف رأيتم هؤلاء؟ قالوا رأينا قوما ، الموت أحب إلي أحدهم من الحياة، والتواضع أحب اليهم من الرفعة، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة، إنما جلوسهم علي التراب، وأكلهم علي الركب، وأميرهم كواحد منهم ، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم، ولا السيد فيهم من العبد، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد، يغسلون أطرافهم بالماء، ويتخشعون في صلاتهم فقال المقوقس : والذي يحلف به ، لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها(١).

فالصلح الذي ألمح المستشرقون الي تآمر «المقوقس» علي دولته بعقده سريعاً مع المسلمين ما تم الا بعد حوارٍ طويلٍ دار بين رسل المسلمين و «المقوقس»، ومشاورات بين أولي الرأي من البيزنطيين المقيمين بالجزيرة مع قائدهم، فهذا ينفي وجود دافعٍ آخر لدي «المقوقس»، يجعله يعقد الصلح مع المسلمين ، سوي رغبته حقن دماء بني جلدته وإخوانه في الدين .

---

(١) ابن عبدالحكم : فتوح مصر وأخبارها / ٦٧، ٦٨، - النويري : نهاية الأرب / حـ ١٩/ ٢٩٢.

- ابن تغري بردي : النجوم الزاهره / حـ ١ / ١١ ، ١٢.
- السيوطي : حسن المحاضرة / حـ ١ / ١١٠
- ابو زيد شلبي : الخلفاء الراشدين / ١٤٥.

فها هو يقول لهم ، قبل عقد الصلح، ناصحاً إياهم بعد الذي رأوه من شجاعة المسلمين ، بالرغم من إحاطة الماء بهم وهم يريدون قتالهم بالجزيرة المتحصنين بها : «ألم أعلمكم هذا وأخافه عليكم؟ ما تنظرون؟ فوالله لتجيبنهم إلي ما أرادوا طوعاً، أو لتجيبنهم إلي ما هو أعظم منه كرهاً، فأطيعوني من قبل أن تندموا ، فعند ذلك أذعنوا إلي الجزية، ورضوا بها علي صلح تكون بينهم يعرفونه.

فاصطلحوا علي أن يفرض علي جميع من بمصر بأعلاها وأسفلها من القبط دينارين عن كل نفس ، شريفهم ووضيعهم وضعيفهم، ومن بلغ الحلم منهم ، ليس علي الشيخ الفاني، ولا علي الصغير ، الذي لم يبلغ الحلم ، ولا النساء شيء.

وعلي أن للمسلمين عليهم النزل بجماعتهم حيث نزلوا، ومن نزل عليه ضعيف واحد من المسلمين ، أو أكثر من ذلك لهم ضيافة ثلاثة أيام ، مفترضاً ذلك عليهم ، وأن لهم أرضهم وأموالهم لا يتعرض لهم في شئ منها، فاشترط هذا كله علي القبط خاصة وأحصوا عددهم يومئذ من بلغ منهم الجزية، وفرض عليه الديناران رفع ذلك عرفاؤهم بالايمان المؤكده : فكان جميع من أحصي منهم بمصر اكثر من ستة آلاف ألف نفس، فكانت فريضتهم يومئذ إثني عشر ألف ألف دينار في كل سنة (١).

(١) ابن عبدالحكم : فتوح مصر وأخبارها / ٦٨، ٦٩، - النويري : نهاية الأرب / حـ ١٩/ ٣٠٥.
- السيوطي : حسن المحاضرة / حـ ١ / ١١٧
- ابو زيد شلبي : الخلفاء الراشدين / ١٤٥، ١٤٦/ ٢٩٨، ٢٩٩.

مما تقدم يتبين لنا كيف ان هذا المستشرق الكبير جانبه الصواب، وهو يبرر نجاح المسلمين في فتح حصن بابليون.

كما ان فتح الحصن جعل المسلمين يرسلون القوات الفاتحة الي "الفيوم" "والاشمونيين"(١) وقري الصعيد بقيادة «خارجة بن حذافة العدوي»، ومنها الي "تنيس" و"دمياط" و"دقهلة" بقيادة «عمير بن وهب الجمحي» وكذلك «عقبة بن عامر الجهني» ويقال وردان مولاه الي قري آخر بمصر(٢).

على أن بقاء عاصمة الديار المصرية إذ ذاك تحت سيطرة الروم، يفرض علي «عمرو بن العاص» توجيه الجيوش اليها حتي يحوذ المسلمون مصر بأكملها ويأمنون علي أنفسهم بها .

---

(١) هي مدينة قديمة أزلية عامرة، قصبة كوره من كور الصعيد الأدني غربي النيل ابن عبد الحق / مراصد الاطلاع / حـ ١ / ٨٤ .

(٢) البلازري : فتوح البلدان / حـ ١ / ٢٥٤ - السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ الدولة العربية / ٢١٨.

- أحمد الشامي : الخلفاء الراشدون / ٢٤٥.

ومن ثم أزمع علي ترك حصن بابليون «لخارجه بن حذافه» ليقصد الاسكندرية علي رأس جيش مسلم جرار فخاض وهو في طريقه اليها معارك حربية، ضد الروم البيزنطيين في «نقيوس»[1] و «سلطيس»[2] كان النصر فيها لصالح المسلمين ولجأت الحاميات الرومية الي الاسكندرية[3] التي وصلها «عمرو بن العاص» وضرب حصاراً عليها فوجدها محصنة، إذ كانت ذات سورين محكمين ، ولها عدة ابرج، يحيط بها خندق يطلق فيه الماء من البحر عند الضرورة للدفاع ، وكانت أبواب المدينة ثلاث طبقات من حديد، وفوق الأبراج منجنيقات ومكاحل(٤)، فهي في غاية التحصين وقد بلغت جنود حاميتها بعد الامدادات التي بعث بها الامبراطور خمسين الف جندي فهي إذن لم تكن مدينة عادية علي غرار سابقتها التي فتحها المسلمون، بل كانت قاعدة عسكرية صميمة ، تتمتع بموقع استراتيجي فريد، فالبحر

(١) الواقعة علي الشاطئ الشرقي لفرع النيل الغربي، بالغرب من منوف الحالية.

(٢) وصحتها (سنطيس) : الواقعة علي بعد ستة أميال، جنوب دمنهور الحالية . السيدعبدالعزيز سالم : تاريخ الاسكندرية /٥١.

(٣) كانت المدينة في العهد الذي نؤرخ له الأن من أعظم مدن العالم وقد أنشئت مدينة الاسكندرية قبل نحو من الف عام، وبناها الاسكندر المقدوني وكانت تضم نحو من مليون انسان، وكانت ميناء مصر التجاري، وتعتبر مناراتها احدي معجزات العالم السابع، ولم يكن فيها ما يفوق كنائس المدينة، قصورها وتماثيلها أو يضاهيها حتي كنائس القسنطينية وقصورها وتماثيلها وكانت المدينة الواسعة محاطة باسوار ضخمة - المقريزي : الخطط / ط ١/ ١٤٤ - جون باجوت : الفتوح العربية / ٣٦٦، ٣٦٧.

(٤) البلاذري : فتوح البلدان حـ ٢٢٧، الطبري: تاريخ الرسل والملوك حـ ٤ / ١٠٥ السيوطي : حسن المحاضرة حـ ١/ ١٦٣، جون باجوت : الفتوح / ٣٦٥.

المتوسط يحدها من الشمال، وبحيرة مريوط من الجنوب، ولا يكن مهماجمته الا من الناحية الجنوبية الشرقية ، وكانت حصون مدينة الاسكندرية تمتد علي الساحل لمسافة ٩ أميال في خط متصل بين القلاع والحصون ، وكان البيزنطيون يعلقون أمالاً كبارا علي «الاسكندرية»، ويعتبرونها نقطة انطلاق لطرد المسلمين من «مصر» وإعادتها الي السيطرة البيزنطية من جديد ، حيث إن عدد وعتاد الروم بها يفوق أضعاف ما لدي المسلمين من ذلك .

فمن الطباعي ان تستعصي المدينة علي المسلمين وقتا طويلا ، اختلف المؤرخون في مقداره فمنهم من قال استمر الحصار لها ثلاثة أشهر ومنهم من قال اربعة عشر شهرا [1].

الأمر الذي جعل «عمر» يكتب الى «عمرو بن العاص» كتابا يحثه فيه علي الاسراع في فتحها كان مصيبا ، في ذلك، فالروم يسيطرون علي البحر، وبإمكانهم ارسال الامدادات لقادتهم في «مصر» بسرعة، تمكنهم من الصمود والقوة أمام ضربات المسلمين لهم كلما طال حصارهم لبلادهم .

وهذا مما يشكل خطراً عظيماً علي العرب الفاتحين الذين لم يألفوا جو مصر من ناحية ، ومن ناحية أخري، فإن هؤلاء العرب لا يرغبون في البقاء

(١) ابن عبدالحكم : فتوح مصر وأخبارها / ٧٦ - اليعقوبي: تاريخه حـ ٢ / ١٤٨.

النويري : نهاية الأرب / حـ ١٩ / ٣٠٦ - المقريزي : الخطط / حـ ١ / ١٦٣.

مدة طويلة عند مكان يريدون فتحه ، فقد جبلوا علي الحركة السريعة من مكان إلي آخر .

فذكر «عمر» في كتابه «لعمرو» (أما بعد، فقد عجبت لابطائكم عن فتح مصر ، وانكم تقاتلونهم منذ سنتين ، وما ذاك الا لما أحدثتم، وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم، وان الله تعالي لينصر قوماً الا بصدق نياتهم»، وقد كنت وجهت اليك اربعة نفر ، وأعلمك أن الرجل منهم مقام الف رجل علي ما كنت اعرف الا أن يكونوا غيرهم ما غير غيرهم، فإذا أتاك كتابي هذا فاخطب الناس وحضهم علي قتال عدوهم ، ورغبهم في الصبر والنية، وقدم أولئك الاربعة في صدور الناس، ومر الناس جميعا ان تكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد، وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة، فانها ساعة نزول الرحمة ووقت الاجابة، وليعج الناس الي الله ويسألوه النصر ، ففعلوا ففتح الله عليهم[1].

كان لكتاب «عمر بن الخطاب» أثر عظيم علي المسلمين، فلما قرأه «عمرو» علي جنده وهم يحاصرون «الاسكندرية»، فقد أعطي راية الجيش الي «عباده بن الصامت» فسار برجاله ، وقاتل الروم قتالا شديداً عندها[2]

---

(١) النويري : نهاية الأرب / جـ٩ / ٣٠٥ ، ٣٠٦ - المقريزي : الخطط / جـ١ / ١٦٥ - السيوطي : حسن المحاضرة / جـ١ / ١٢٠ ، ١٢١ - علي الطنطاوي وآخر : أخبار عمر / ٧٦ .

(٢) النويري : نهاية الأرب / جـ ١٩ ؛ ٣٠٦ - عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية وحضارتها / ٥٢ .

فأيقن الروم انه لا مناص من مفاوضة المسلمين الذين ضربوا الحصار علي مدينة الاسكندرية منذ وقت طويل ولم يبدو منهم ضعفا أو تفكيراً في ارتدادهم عنها .

ولان امبراطور بيزنطة بعد فترة الضطراب التي أشرنا اليها في عاصمة الامبراطورية قد فوض «المقوقس» في إبرام الاتفاقيات مع العرب ، فان الرجل أخذ يرسل «لعمرو بن العاص » رسلاً تتفاوض معه في شأن تسليم الاسكندرية بازلاً جهداً عظيماً في سبيل إنقاد سبايا الامبراطورية البيزانطية من أيدي العرب الفاتحين ، فأجاب «عمرو بن العاص» «المقوقس» بقوله (إن ورائى أميراً لم استطيع أن أصنع إمراً دونه، فإن شئت أن أمسك عنك وتمسك عني حتي اكتب اليه بالذي عرضت علي فإن هو قبل ذلك منك قبلت وان أمرني بغير ذلك مضيت لأمره .

فوافق «المقوقس» علي ما عرضه «عمرو بن العاص» الذي أرسل الي أمير المؤمنين يعرض عليه ما كان من أمر رسائله المتبادله بينه وبين «المقوقس» طالباً» منه الرأي فكتب إليه «عمر» كتاباً جاء فيه (أما بعد ، فإنه جاءني كتابك تذكر أن صاحب الاسكندرية عرض أن يعطيك علي أن ترد عليه ما أصيب من سبايا أرضه ، لعمري لجزية قائمة تكون لنا ولمن بعدنا من المسلمين أحب الي من فيء تقسيم ، ثم كأنه لم يكن، فاعرض علي صاحب الاسكندرية ان يعطيك الجزية علي أن تخيروا من بين أيديكم من سبيهم بين الإسلام وبين دين قومه ، فمن إختار منهم الاسلام فهو من المسلمين ، له ما لهم وعليه ما عليهم، ومن إختار دين قومه وضع عليه من

الجزية ما يوضع علي أهل دينه ، فأما من تفرق من سبيهم بارض العرب فبلغ مكة والمدينة واليمن فإنا لا نقدر علي ردهم ولا نحب ان نصالحه علي أمر لا نفي له به[1].

فوفي «عمر بن العاص» «للمقوقس» بما أمره به أمير المؤمنين فخير سبايا البيزنطيين بين الاسلام أو الجزية إستقر الأمر بين البيزنطيين والمسلمين علي تسليم الاسكندرية لهم ، والجدير ذكره هنا أن فتح الاسكندرية قد كان عقب حصار «عمرو» لها مرتين تخللهما قيامه بفتوحات في قري دلتا النيل حتي يستمر أهلها في الطاعة[2] للفاتحين الجدد .

وأن صلحهما نص علي (أن يدفع أهل الاسكندرية للعرب جزية شهرية، ان يقدموا «لعمرو» ١٥٠ جنديا و ٥٠ مدنيا بمثابة رهائن، وأن يتعهد المسلمون بعدم التدخل في شئون المسيحيين وكنائسهم، والسماح لليهود بالبقاء في الاسكندرية، وأن يبقي المسلمون مدة أحد عشر شهراً خارج المدينة تنتهي في أواخر شهر ذي القعدة سنة احدي وعشرين هجرية سبتمبر سنة اثنتين واربعين وستمائة م، تتوقف اثناءها الاعمال الحربية من جانب الفريقين.

يسمح للحماية البيزنطية بالخروج من الحصن والرحيل بما يمتلكون بشرط عدم عودتهم لاسترداد المدينة بأي شكل[3]

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك / جـ ٤ /١٠٥ ، ١٠٦ - ابن الأثير : الكامل / جـ ٢ / ٥٦٨ ، ٥٦٩ .

(٢) المقريزي : الخطط / جـ ١ / ١٦٥ ، ١٦٦ .

(٣) البلازري : فتوح البلدان / جـ ١ / ص ٢٦٠ - بتلر : فتح العرب لمصر / ص ٢٣٥ - أحمد الشامي : الخلفاء الراشدين / جـ ٢٤٧ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية وحضارتها / ٥٣ .

فرح المسلمون فرحا شديدا بدخولهم الاسكندرية[1] فقد أصبحت مصر جزءً لا يتجزأ من أملاك دولتهم ترفرف عليها راية الاسلام، فبادر «عمرو بن العاص» لارسال «معاوية بن حديج» الي أمير المؤمنين ببشارة الفتح، فلما وصل الي المدينة وأنبأ «عمر» بما افاء الله به علي المسلمين خر ساجداً لرب العالمين، ثم وافي «عمرو بن العاص» أمير المؤمنين بعد ذلك بكتاب ضمنه وصفاً لبعض ما رآه في الاسكندرية، من خيرات ومنشآت أبهرت العرب الفاتحين ، فما قاله «عمرو بن العاص» في كتابه (أما بعد، فاني قد فتحت مدينة لا أصف ما فيها ، غير أني أصبت فيها أربعة ألاف بنية بأربعة ألاف حمام ، وأربعين ألف يهودي عليهم الجزية، وأربعمائة ملهي للملوك) فهذا الذي ذكره «عمرو» في كتابه «لعمر» بعض من كثير مما هو في مدينة الاسكندرية والذي حرص قدماً مؤرخو مصر الاسلامية علي تسجيله فها هو «ابن عبدالحكم» يقول : (لما فتح"عمرو"الاسكندرية وجد فيها إثني عشر ألف بقال يبيعون البقل الأخضر[2].

---

(١) ذكر الطبري اكثر من رواية لتاريخ دخول المسلمين الاسكندرية لا يتسع المقام لذكرها لنرجح ما نراه منها فان الذي يعنينا هنا التاريخ لولاء مصر في عهدي الراشدين ثم السفيانيين .

- الطبري : تاريخه / جـ٤/ ١٠٤

(٢) ابن الحكم : فتوح مصر واخبارها / ٨٢

- النويري : نهاية الأرب / جـ١٩ / ٢٠٨ - المقريزي : الخطط /جـ١ / ١٦٦ .

مما تقدم يتبين لنا ان المسلمين الفاتحين تمكنوا بفضل إيمانهم بربهم ، ثم حسن تخطيط قائدهم «عمرو بن العاص»، من جعل مصر ولاية اسلامية[1]، يبعث أمير المؤمنين إليها الولاة لحكمها نيابة عنه ، مثلما يبعث العمال الي بقية اقاليم الدولة الاسلامية .

ولما كانت دراستنا هذه تعني بالتأريخ لولاة مصر في عهدي الراشدين ثم السفيانيين فاننا نضرب صفحاً عن تناول أمور أخري تتعلق بأحوال هذه البلاد من الناحية الاجتماعية والاقتصادية مركزين علي ذكر الملابسات التي واكبت تعيين كل واحد منهم والاسباب التي أدت الي عزله .

---

(١) ذكر غير واحد من المؤرخين روايات متباينة حول ما اذا كانت مصر فتحت صلحاً أم عنوة ويمكن الوقوف عليها في مصادر التاريخ الاسلامي والتي منها علي سبيل المثال لا الحصر :

- خليفة بن خياط / ١٤٣ - الطبري : تاريخه / جـ٤ / ١٠٤ - ابن الاثير : الكامل /جـ٢ / ٥٦٥ - النويري : نهاية الأرب /جـ٩ / ٣١٠، ٣١١ .

الفصل الثاني

ولاة مصـــر في عهـــد الراشـــديـــن

لما كان الوالي يستمد سلطانه من الخليفة الذي ولاه، فإنه من اللازم علينا نهل المضي قدماً في تناول حياة الولاة الذين ولاهم الراشدون أمر مصر بيان الدلالة اللفظية لكلمة الوالي من الناحيتين اللغوية والفقهية حتي يتسني لنا الوقوف علي ما كان من أمر ولاة مصر مع رعيتهم، لما آل إليهم هذا المنصب، لمعرفة ما إذا كان عزل الخليفة لبعضهم قد نتج عن تقصير في المهام المنوطة لهم أم لسبب آخر، جعل من عزله ضرورة إصلاح الاقليم من وجهة نظر الخليفة .

مفهوم لفظة والي في اللغة والاصلاح :

ان هذه اللفظة لها عدة دلالات في معاجم اللغة تجعل معانيها مختلفة حسب الجمل التي تدخل الكلمة في تركيبها .

فإبن منظور يقول : انها تُنْطق بفتح الواو وكسرها .

فمن فتح جعلها من النُصرة، والنسب قال « والولاية التي بمنزلة الإمارة مكسورة ليفصل بين المعنيين، وقد يجوز كسر الولاية لان في تولي بعض القوم بعضاً حسناً من الصناعة والعمل وكل ما كان من جنس الصناعة، نحو القصارة والخياطة فهي مكسورة والوالي الصديق والنصير[1] وهي في الاصلاح ضربان عامة وخاصة ، فأما الولاية العامة ، فصاحبها مفوض من

(١) لسان العرب : مادة والي

قبل الخليفة بولاية بلد أو إقليم فينظر المعهود من سائر أعماله فيصير عام النظر فيما كان محدود من بلد ولايته ، وهذه الولاية قسمها الفقهاء في هذه الفترة الي قسمين إمارة إستكفاء وإمارة إستيلاء ، ومصر التي نعني دراستها في هذه الفترة لم تعرف سوي النوع الأول وهو الذي يستوي فيه الوالي علي أريكة الحكم برضاء من الخليفة ولقد شرط الفقهاء في الرجل الذي يعين بهذا المنصب شروطاً بنوها علي ما كان النبي محمد ﷺ ثم الراشدون رضوان الله عليهم ، يحرصون علي توفرها فيمن يعهد إليه بولاية إقليم ما من أقاليم الدولة الاسلامية، وهي :

ان يكون المتولي ممن تنطبق عليه شروط الإمامة سوي النسب القرشي المختلف فيه، فشرطوا في الوالي ان يكون من أهل الكفاية، فيما وكل اليه من أمر الحرب والخراج، خبرة بهما ومعرفة بتفصيلهما، أنه مباشر لهما تارة ومستنيب فيهما أخري [1] والناظر في هذه الشروط التي ذكرناها علي سبيل الايجاز فيمن يتولي الإمارة يجد أنه لا فرق بين هذا المنصب ، ومنصب وزير التفويض من وجهة النظر الفقهية، سوي أن أمير الاستكفاء يكون نظرة عاماً في الاقليم المحدد له وليس كذلك وزير التفويض .

ولقد ذكر الفقهاء أن الأمير أو الوالي الذي يحكم إقليماً ما بأمر من الخليفة عليه القيام بالمهام التالية :

١ - النظر في الاحكام وتقليد القضاة والحكام .

(١) الماوردي : الاحكام السلطانية / ٦٢ .
- محمد ضياء الدين الريس : النظريات السياسية / ٢٨١ .

٢ – النظر في تدبير الجيش وترتيبهم في النواحي وتقدير أرزاقهم، الا أن يكون الخليفة قدرها .

٣ – جباية الخراج، وقبض الصدقات، وتقليد العمال، وتفريق ما إستحق منها .

٤ – اقامة الحدود في حق الله تعالي، وحقوق الآدميين .

٥ – الامامة في الجمع والجماعات حتي يؤم بها أو يستخلف عليها .

٦ – تسيير الحجيج من عمله ، ومن غير أهله حتي يتوجهوا معانين عليه، لأنه من جملة المعونات التي ندب اليها ، ولا يتم ذلك الأمر إلا بتدخل من الوالي، فعلي الوالي تنصيب من يدبر أمر الحجيج ان لم يكن ينوي الحج معهم، فيكون أمر الحج علي سكان إقليمه [١] حتي يصلوا الي مكة فيكونوا بعد ذلك تحت إمرة الأمير العام للحج .

إن من يمعن النظر في مهام الوالي التي سلفنا ذكرها يجد أن عمال مصر كانوا يقومون بها جميعاً باستثناء أمر الخراج، فان الخلفاء الراشدين ثم الأسرة السفيانية قد جعلوا له ولايةً مستقلة خلال فترات يسيرة من فترة بحثنا، فكان من يتولي الخراج خلالها مسئولاً أمام الخليفة مباشرة لا أمام الوالي عن النواحي المالية ، وكان هذا يحد من سلطة الوالي كثيرا إذ أصبح عاجزاً عن التصرف في الأمور كما يشاء .

---

(١) الماوردي : الأحكام السلطانية / ٧٢

– محمد ضياء الدين الريس : النظريات السياسية/ ٢٨١ .

ولذا كان لعامل الخراج أهمية كبيرة، وكثيراً ما يكون منافساً للوالي مع أنه هو رئيس الولاية بالنيابة عن الخليفة (١) الأمر الذي انعكست آثاره علي تولية الولاة وعزلهم .

ومن ثم فاننا سوف نتناول في دراستنا هذه ولاة الصلاة والخراج معاً لما من ارتباط في التأثير علي مجريات الأمور في مصر مسلطين الاضواء علي موقف الخلافة منها .

ولاية عمرو بن العاص علي مصر :

لما أتم الله للمسلمين فتح مصر جعله « عمر بن الخطاب » فاتحها أول والي عليها ، وهذا أمر طبيعي، فان الفاروق لامرء أراد منه الفائدة للمسلمين فالقائد الذي فتح البلاد يعرف عن أمورها قبل الفتح وخلاله ما يجعله أصلح الموجودين لقيادتها فكان «عمرو بن العاص» أول ولي يتولي حكم مصر بعد ما آلت للدولة الإسلامية، ولم يكن نجاحه في فتحها بالامر الذي تحقق له من فراغ بل كان ثمرة لحياة طويلة عامرة بالكفاح والمنجزات المبهرة للأقران وجاذبةً اليه أنظار من هم أسن منه من الرجال وحتي نكون علي بينة من الحقيقة التي قررناها، نُلمع إلي الأطوار الحياتية « لعمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي السهمي » أبوه « العاص » ممن تبوء مكانةً مرموقة بين القرشيين وكان من ذوي الثروة فيهم ومن ثم فانه لما بعث الله محمداً

(١) الماوردي : الأحكام السلطانية / ٧٢
- أبو يعلي : الأحكام السلطانية / ٣٤ .

كان «العاص» ممن إنبروا لمناهضة دعوته خشيت تأثيرها علي ثرواته ان هي نجحت فكان يقعد علي طريق النبي محمد ﷺ ليهزأ منه، وفيه نزل قوله تعالي « إن شانئك هو الأبتر»[1] والابتر هو الذي ليس له ولد فأراد أنه ينقطع ذكره فولد العاص : « عمرو بن العاص » و « هشام بن العاص»[2] وأمه: سلمي بنت حرملة ؛ تلقب بالنابغة من بني عنزة أصابها رماح العرب فبيعت بعكاظ ، فاشتراها الفاكه بن المغيرة ثم اشتراها منه عبد الله بن جدعان ثم صارت الي العاص بن وائل فولدت له فانجبته [3].

أظهر عمرو بن العاص في وقت باكر من حياته رغبته في تحمل مسؤليته بنفسه فاستقل عن أبيه في تدبير أمور حياته يمتهن أرفع مهنة في قومه إذ ذاك وهي مهنة التجارة .

فكان عمرو بن العاص تاجراً في الجاهلية وكان يختلف بتجارته الي مصر وهي الآدام والعصر فكان يتاجر ببضائع اليمن والحبشة كالجلد ويحملها الي الشام وبضائع الشام كالزبيب والتين ونحوها ويحملها الي اليمن [4].

ولا ريب في أن مثل تلك الرحلات تضيف جديداً الي معارف «عمرو بن العاص» وخبراته مما جعله صاحب طموحات في القيادة جعلت كبار

---

(١) سورة الكوثر آية ٣ .

(٢) ابن قتية : المعارف / ٢٨٥ .

(٣) ابن الأثير : اسد الغابة / جـ ٣ / ٧٤٠ - ابن حجر : الاصابة / جـ٣ / ٢

(٤) الكندي : ولاة مصر / ٢٩ - سيد أبو رابية : عمرو بن العاص / ٤٨ .

القرشيين يعهدون اليه بالسفارة لنجاشي الحبشة لرد المسلمين المهاجرين منها إلي مكة فكبار قومه رأوا فيه ناباً من أنياب العرب وليثاً من ليوثهم ، حتي عُد من دهاتهم وأبطالهم وذوي الرأي فيهم [1].

والدارس لحياة «عمرو بن العاص» يجدأسطورة راج ذكرها في كتب التاريخ فيها ان «عمرو» زار مصر ذات مرة بصحبة أحد الشمامسة يهديه الطريق من الشام الي مصر علي جُعل مالي يعطيه لعمرو جزاء ذلك فصادف يوم وصوله الي الاسكندرية عيداً لهم يجتمعون فيه ويلعبون، فإذا هموا بالانصراف إجتمع أبناء الملوك، واحضروا كرة لهم ما عملها حكماؤهم ، فترامو بها بينهم ، وكان من شأنها المتعارف عندهم من وقعت في حجره ملك لاسكندرية أو قالوا : ملك مصر فجعلوا يترامون بها و«عمرو بن العاص» في النظارة، فسقطت الكرة في حجره فعجبوا لذلك وقالوا : (ما كذبتنا هذه الكرة قط الا هذه المرة وأني لهذا الأعرابي يملك الاسكندرية ، هذا والله لا يكون)[2]

وقد انبري أحد الباحثين المحدثين لمناقشة هذه الرواية فشكك فيها ورفض الأخذ بها لما فيها من عوار يجعل الرفض أقرب اليها من أي شئ آخر فقال : (ليس من شك في أن هذه القصة يتضح فيها ان تصيب الأسطورة جد عظيم ولا نستعبد أن هذا المؤرخ الغربي وأترابه ممن أخذوا عنه ، قد إبتدعوها بعد أن أصبح «عمرو بن العاص» من فلتات زمانه،

---

(١) ابن حجر : الاصابة / جـ٢/ ٢ - عبد الخالق ابو راية : عمرو بن العاص / ٤٨ .

(٢) الكندي : ولاة مصر / ٢٩ ، ٣٠ .

وخاصة بعد أن فتح الله عليه مصر في قلة من الجند، وللناس ولوع بزخرفة الأقاصيص عن الأبطال ، فيأبون أحيانا إلا أن تكون ولادتهم علي غير ما ولد سواد الناس، ويأبون أحيانا،إلا أن ينسبوا إليهم الخوارق من الأعمال التي تعد آية من آيات الإعجاز، وأبسط دليل علي انهيار هذه القصة التي أوردها السيوطي وتهافتها هو أن تسائل :

أولا :- بأية لغة كان يدور هذا الحوار بين عمرو بن العاص والشماس السكندري ؟ أكان يدور باللغة اليونانية أم بالقبطية ولكلتا اللغتين لا يعرفهما عمرو ؟

أم كان يدور باللغة العربية والشماس الرومي لا علم له بها ، بل ان أهل مصر قاطبة كانوا لا يتكلمون بها ؟

ثانيا : - إن فكرة اختيار حكام مصر بواسطة الكرة فكرة خيالية غير حقيقة ، وذلك لأن التاريخ لم يذكر لنا أبداً أن حاكما رومانياً واحد تولي حكم مصر ، إثر سقوط الكرة في كمه، بل إن حكام مصر كانوا يعينون رأساً من قبل أباطرة الروم .

ولكن الأمر الذي نستطيع أن نجزم به من غير أن نتعرض للشطط في القول هو أن «عمرو بن العاص» قد زار مصر في الجاهلية تاجراً وأنه شهد من أحوالها وخبر من إحتكاكه بالناس ما أطلعه بفطنته الثاقبة علي تدهور الحال فيها، فرأها كأنها شجرة ضخمة هرمة تجر فيها السوس، ولن تلبث هذه الشجرة العجوز أن تنتزع عند هبة ريح عالية أو ضربة فأس قوية (١).

---

(١) عبد الخالق أبو راية : عمرو بن العاص / ٥٢ ، ٥٣ .

واذا كنا نسلم للباحث بالأدلة التي التمسها للتشكيك في هذه الرواية فإننا نضيف اليها ان ما زعمته الرواية من حدوث قرعة بين أبناء الملوك حتي يتبينوا منهم من أحق بحكم مصر أمر نسجه القصاصون فلو سلمنا جدلاً بحدوث مثل هذا الاقتراع بين ذوي الحق في الولاية من أبناء الملوك لا مراء يتم في مكان يفصلهم عن من يشاهدونه من الرعية الذين لا حق لهم في المنصب فكيف والحالة هذه تتخطي الكرة جميعهم وتأتي «عمرو بن العاص» وهو من المغمورين والرحالة الذين جاءوا الي مصر لا يريد من زيارته لها إلا تحصيل الأموال من الإتجار بالبضائع التي يحملها معه أو إبتياع السلع من ذويها حتي يعود بها من حيث أتي ليجني الأرباح ، فلا يعقل والحالة هذه أن يترك رجل كل هذا ليحضر إحتفالاً زعمت الرواية وقوعه من أجل اختيار والي يحكم مصر نيابة عن الرومان كما أن هذه الرواية ، لو صحت لجعلت الوالي بمصر مفروضاً علي امبراطور بيزانطة وهذا ما لم يقل به أحد من مؤرخي الغرب أو الشرق .

ولا نوافق الباحث فيما نسبه للسيوطي من ابتداع لهذه الرواية التي نقلها المؤرخون اللاحقون له عنه كما قال الباحث لأن السيوطي مسبوق إليها فهو نقلها عن مؤرخين أسبق منه مثل« الكندي» الذي يجعلنا الإنصاف ننسبها اليه دون السيوطي .

وعلي كل حال فان"النبي محمداً أستعان «بعمرو بن العاص» فولاه عمان[1] فظل بها حتي لحق النبي بالرفيق الأعلي ثم بعثه أبو بكر أميراً في الجيوش المتوجهة الي الشام [2].

(١) بضم الأول وفتح الثاني دولة غربية ذات تاريخ طويل متصل تحتل القرن الجنوبي الشرقي لشبه الجزيرة العربية وتطل علي المحيط الهندي الغربي (بحر العرب)
- أحمد عطية الله : القاموس الاسلامي / جـ٥ / ٥٠٨

(٢) ابن الأثير : اسد الغابة / جـ٣ / ٧٤٢ - ابن حجر : الاصابة / جـ ٢ / ٣

لم تكن ولاية «عمرو بن العاص» علي مصر بعد فتحها ولاية رجل جاء إقليمه لحكمه نيابة عن خليفة فحسب بل كانت الي جانب ذلك ولاية تأسيس وبناء وتنظيم لمصر في ظل عهد جديد صار اليه حكم أهلها .

وهذا يدعونا الي تتبع خطوات « عمرو بن العاص » بها خلال سني ولايته الأول تتبعاً دقيقاً حتي يبرز الجديد الذي حرص المسلمون علي أن يشعر أهل مصر به ليدرك الفرق بين عهد غابر لم يكن مهمة حكامه الا جباية الأموال دون أن يولوا عنايتهم بالمنشآت العامة والمرافق الهامة إلا القليل وحتي هذا كان من أجل تحقيق صالحهم بالدرجة الأولي قبل رعيته ولما كان «عمرو بن العاص» يعلم عن أمير المؤمنين « عمر بن الخطاب » أنه علي علم بالعمال الباعدين عنه علمه بمن يأت معه في مهاد واحد وعلي وساد واحد[1] .

فانه حرص قبل قيامه بالأعمال التي يتطلبها وجود المسلمين في مصر حتي يأمنوا علي أنفسهم بها وينعم المسلمون وأهلها بالرخاء في أرضها علي أن يكتب كتاباً إلي أمير المؤمنين يضمنه وصفاً دقيقاً لمصر حتي اذا ما إستأذنه في القيام بعمل معماري أو إنشائي يكون «عمر» علي بينة من أمرة حين يكتب الي «عمرو» بالقبول أو الرفض فقال له [مصر تربة غبراء سهلة الإنبات ، وشجرة خضراء طولها شهر وعرضها عشرة أيام، يكنفها خيل أغبر (ضارب السواد) ورمل أعقر (مائل إلي الصفرة) يحط وسطها

---

(١) محمد صابر : القيادة الادارية في الاسلام / ١٢٠ .

نهر ميمون الغدوات مبارك الروحات ، محمود الذهاب والإياب ، يجري بالزيادة والنقصان كجري الشمس والقمر له أو أن تظهر به عيون الأرض ويتابعها حتي اذا عج عجاجه ، (عظم ماؤه) وتعظمت أمواجه وانقطعت فتسربت في الأرض لم يكن وصول بعض أهل القري الي بعض إلا في إخفاق كأول ما بدأ في شدته وطما في حدته (أي نقصه بشدة كما زاد بقوة) فعند ذلك يحرج القوم ليحرثوا بطون أوديته وروابيه (أعالي الأرض وأسفلها) يبذرون الحب ويرجون الثمار من الرب ، حتي إذا أشرق وأشرق (ظهر وبان)، سقاه من قوته الندي وغداه من تحته الثري ، فعند ذلك يدر حلابه ويغني زبابه (يعظم محصوله)، فما هي يا أمير المؤمنين درة بيضاء اذا هي عنبرة سوداء واذا هي زبرجدة خضراء فتعالي الله لما يشاء الذي يصلح هذه البلاد وينبيها ويقر قاطنها فيها ألا يقبل قول خسيسها في رئيسها ، وألا يستأدي خراج ثمرة إلا في أوانها ، وأن يصرف ثلث إرتفاعها في عمل جسورها وترعاها ، فاذا تقرر الحال مع العمال في هذه الأحوال تضاعف ارتفاع المال، والله تعالي يوفق في المبتدأ والمال]

ويقول أبو المحاسن « فلما ورد هذا الكتاب ، علي عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال : لله درك يا ابن العاص لقد وصفت لي خبراً كأني أشاهده (١).

---

(١) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة / جـ ١ / ٣٢ ، ٣٣ .

تأسيس الفسطاط

كان من أوائل المهام التي علي « عمرو بن العاص » القيام بها في «مصر» إيجاد عاصمة يدير منها أمور ولايتها ويبعث منها الرسل الي خليفته .

فلما فتح المسلمون الاسكندرية عاصمة الدولة البيزنطية ووقف «عمرو بن العاص» علي ما بها من تحصينات ما تبعه وعمائر بديعة فكر في إتخاذها عاصمة لمصر الاسلامية لما لها من مناخ طيب من أي بقعة أخري بأرض مصر وأسوارها الحصينة تكفل للمسلمين مقاومة الغزاه والمغيرين، وبيوتها المهجورة تغني المسلمين عن بناء مساكن، وخطط جديدة، ويذكر المؤرخون العرب أن «عمرو بن العاص» عندما رأي بيوتها خالية من أصحابها هم بسكانها وإتخاذها قاعدة لمصر ، اذ ان ذلك يكفيه بناء مدينة جديدة لا يمكن مهما بذل العرب في بنائها من جهود ونفقات أن تصل في العظمة والاتساع العمراني والمظهر الجمالي الا ما وكلت اليه الاسكندرية ، فأرسل الي الخليفة «عمر بن الخطاب» يستأذنه في ذلك وكتب اليه مساكن قد كفيناها ، فلما وصل الرسل بكتاب «عمرو» إلي «عمر» سأله الخليفة [هل يحول بيني وبين المسلمين ماء؟ قال : يا أمير المؤمنين إذا جري النيل] فكتب «عمر» الي «عمرو» [لا أحب أن تنزل المسلمين منزلا يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا صيف]

فأقلع «عمرو بن العاص» عن فكرة جعل الاسكندرية عاصمة لمصر(١)

---

(١) البلازري : فتوح البلدان /جـ ٢ / ٣٣٨ - ابن عبد الحكم : فتوح مصر أخبارها/٩١ - النويري : نهاية الأرب / جـ ١٩ / ٣١٩
- السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية /٥٩

والجواب الذي أجاب به الخليفة عامله علي مصر «عمرو بن العاص» حول ما يراه من ضوابط في اختيار موقع العاصمة يعبر عن السياسة التي ساس بها عمر أقاليم الدولة المفتوحة .

فقد كتب بنظير ذلك الي عامليه بالبصرة والكوفة حين أرسلا اليه في أن يأذن لهما بانشاء عاصمة للمسلمين بالبلاد التي فتحوها بالعراق وفارس[1] ولقد كان الحق مع «عمر» في تلك الضوابط فالمسلمون الفاتحون قوم بر ولا علم لهم بركوب البحر ، ومن ثم فان الخليفة يريد عاصمة دولته في مكان بعيد عن الماء حتي يضمن سهولة الاتصال بها من ناحية ويأمن عليها خطر الأعداء من ناحية أخري ، فسقوط العواصم في أيد الأعداء لا ريب يؤدي الي هزيمة ماحقة يترتب عليها تدهور في المعنويات وخلل في النظام وما اسند اليه «عمرو بن العاص» من الرغبة في الاقتصاد وعدم انفاق الاموال علي انشاء عاصمة جديدة أمر لم يغيب عن «عمر»اذ كان يعلمه يقيناً ومع علمه له فانه لم يعلق عليه كبير أهمية، حيث كان أمير المؤمنين يأبي التأنق في البناء ويميل للتقشف والزهد «فالكوفة» و «البصرة»أنشئتا من قصب، ثم من لبن، لما أصابها الحريق ومع ذلك أذن «عمر» لقاطنيها البناء باللبن شرط عليهم ألا يعلوا في البناء [2].

لذا فاننا نخلص الي عدم موافقة «عمر» علي اقتراح «عمرو بن العاص» بجعل الاسكندرية عاصمة لمصر كان من أجل المصلحة العامة للأمة الاسلامية تلك التي لا يعدو لها شيئاً آخر لدي أمير المؤمنين .

(١) البلازري : فتوح البلدان / جـ٢ / ٣٤١ ، ٤٢٥ .
(٢) البلازري : فتوح البلدان / جـ٢ / ٣٤١ ، ٤٢٥

وعلي كل حال فان «عمرو بن العاص» أخذ يجيل بصره في أرض مصر باحثاً عن مكان يقيم عليه عاصمة للمسلمين علي أرضها ، فوجد ذلك الموقع عند حصن بابليون من ناحية الشمال والذي يحده المقطم من شرقيه ، ويقع النيل في غربه ، وهو السهل الذي كان يعسكر فيه بجنوده، ابان فتح الحصن ولم يكن في المكان من البناء سوي حصن بابليون حيث كان ينزل به شحنة الروم (الحاكم) وكان الي الشمال والشرق منه أشجار ونخيل وكروم وبين الحصن والجبل عدة كنائس وأديرة (١).

ويذكر المؤرخون أن السبب في تسمية العاصمة الجديدة لمصر بالفسطاط راجع الي ان «عمرو بن العاص» حين أزمع علي المسير الي الاسكندرية بعد فتح حصن بابليون في ربيع الأول سنة عشرين، وأمر بالفسطاط أن يقوض فاذا بيمامة قد باضت في أعلاه، فقال لقد تحرمت بجوارنا وأقر بالفسطاط حتي تقف وتطير فراخها، فأقروا الفسطاط وكل به أن لا يهاج حتي تستقل فراخها، فلذلك سميت المدينة بهذا الاسم .

ومن الطباعي ان تكون أبنيتها علي غرار أبنية الأمصار التي أنشأها المسلمون في البلاد المفتوحة، وكما هي عادة المسلمين في كل مكان يفتحونه ويجعلون له مصراً لم ينسوا في تخطيط أمصارهم، إنشاء مسجد جامع تؤدي فيه الصلاة وهذا ما كان في أمر مدينة الفسطاط التي أنشأها عمرو بن العاص فإن الأبنية التي أقيمت بها جعلت من المسجد الذي اقامه «عمرو بن العاص» محوراً لها، وهو المسجد يبني علي ما كان قد نزل به «قبيسة بن كلثوم التجيبي»

---

(١) المقريزي : الخطط /جـ١ / ٢٨٦ - الكندي : ولاة مصر / ٣٢، ٣٣
ابن الجوزي : المنتظم /جـ ٤ / ٢٩٢ - ابن كثير : البداية والنهاية / جـ٧ / ١٠٠
- ابو المحاسن بن تغري بردي : النجوم الزاهرة / جـ١ / ٦٤ ، ٦٥ .

فلما عاد المسلمون من «الاسكندرية» اثر فتحها، وبدأ «عمرو» في إنشاء عاصمته طلب من «قبيسة» أن يأذن للمسلمين في بناء المسجد علي منزله سالف الذكر، فقال : إني أتصدق علي المسلمين ، فسلمه إليهم ، فبني في سنة إحدي وعشرين ، وكان طوله خمسن ذراعاً في عرض ثلاثين ويقال : انه وقف علي اقامة قبلته ثمانون رجلاً من الصحابة (١).

واتخذ «عمرو» في المسجد منبراً فلما بلغ «عمر» ذلك كتب اليه أما بعد ، فانه بلغني انك اتخذت منبراً ترقي به علي رقاب المسلمين ، او ما يحسبك أن تقول قائماً ، والمسلمون تحت قدميك ، افعزمت عليك لما كسرته، وأراد «عمرو» أن يبني دار «لعمر بن الخطاب»، عند المسجد الجامع، فكتب إليه«عمر» اني لرجل بالحجاز تكون له دار بمصر وأمره أن يجعلها سوقاً للمسلمين ففعل فكان يباع بها الرقيق (٢).

ولا يفوتنا ونحن نتحدث عن ولاية «عمرو» الأول علي «مصر» والأعمال التي قام بها علي أرضها الإشارة الي إعادته حفر خليج «مصر»، وذلك الذي يصل نيلها ببحر القلزم، ويذكر المؤرخون ان الذي جعل «عمرو بن العاص» يقدم علي هذا العمل هذه الضائقة التي نزلت بالمسلمين في عام

---

(١) النويري : نهاية الأرب /ج١٩/٣١٩ ، ٣٢٠ - ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة /ج ١/ ٦٨، ٦٩ - السيوطي : حسن المحاضرة / ج٢ / ٢٣٩، ٢٤٠
- محمود شاكر : التاريخ الإسلامي / ج٣ / ١٦٨ .

(٢) النويري : نهاية الأرب / ج١٩ / ٣١٩، ٣٢٠ .

الرمادة فجعلت قاطني بلاد «الحجاز» يتضورون جوعاً لندرة الغذاء في حين أن مصر بها منه ما يفيض عن حاجيات أهلها بكثير ، فكتب «عمر بن الخطاب» الي عامله بمصر «عمرو بن العاص»

بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله «عمر» أمير المؤمنين الي «العاص بن العاص» سلام عليك أم بعد .. أفتراني هالكاً ومن قبلي وتعيش ومن قبلك ؟ فياغوثه ! ياغوثاه ! ياغوثاه .

فكتب اليه «عمرو بن العاص» :

بسم الله الرحمن الرحيم : لعبد الله «عمر» أمير المؤمنين من «عمرو ابن العاص»سلام عليك ، فاني أحمد إليك الله لا اله الا هو ،اما بعد .. أتاك الله الغوث ، فلبث ، لبث لأبعث اليك بعير أولها عندك وآخرها عندي مع أني أرجو أن أجد سبيلا أحمل في البحر فبعث في البر بألف بعير تحمل الدقيق وبعث في البحر بعشرين سفينةتحمل الدقيق والدهن وبعث اليه بخمسة آلاف كساء[1] .

لما وصلت الإمدادات المصرية الي قاطني بلاد «الحجاز» ، وفرج الله بها علي المسلمين ما هم فيه من كرباء العيش، أزمع «عمر» علي ايجاد طريق بحري يربط «مصر» ببلاد «الحجاز» حتي يضمن استمرار جلب المواد الغذائية منها الي بلاد «الحجاز» ، ومن ثم تنشيط الحركة التجارية .

---

(١) اليعقوبي : تاريخه /جـ٢ / ١٥٤

- النويري : نهاية الأرب /جـ ١٩ / ٣٢٦ .

وهكذا تري «مصر» تلعب ذات الدور في الدولة الاسلامية ، مثلما كانت تلعبه في الإمبراطورية البيزنطية ، فهي سلة الغذاء الذي اعتمد البيزنطيون ثم المسلمون عليها في هذا الوقت ، فكتب «عمر» الي عامله «بمصر» يقول [يا عمرو ، ان الله تعالي قد فتح علي المسلمين «مصر» وهي كثيرة الخير والطعام، وقد ألقي في روعي لما أحببت من الرفق بأهل الحرمين والتوسعة عليهم أن أحفر خليجاً من نيل «مصر» حتي يسيل في البحر، فهو أسهل لما نريد من حمل الطعام الي المدينة ومكة فان حملة علي الظهر يتعذر ، ولا يبلغ منه ما نريد فانطلق انت وأصحابك فتشاوروا في ذلك حتي يعتدل فيه رأيكم] فانطلق «عمرو» فأمر من كان معه من أهل «مصر» فثقل ذلك عليهم ، وقالوا : نتخوف أن يدخل في هذا ضرر علي «مصر» فنري أن نعظم ذلك علي أمير المؤمنين ونقول له : ان هذا الأمر لا يعتدل ولا يكون ولا نجد اليه سبيلاً .

فرجع «عمرو» بذلك الي «عمر»، فلما رآه ضحك وقال : والذي نفسي بيده لكأني أنظر اليك يا«عمرو» وإلي أصحابك حين أخبرتهم بما أمرت به فثقل ذلك عليهم ، وقالوا : لك كذا، وكذا للذي كان منهم فقال : صدقت والله يا أمير المومنين ، لقد كان الأمر علي ما ذكرته فقال «عمر» يا «عمرو» انطلق بعزيمة مني حتي تجد في ذلك، ولا يأتي عليك الحول حتي تفرغ منه ان شاء الله تعالي فانصرف «عمرو» [1] .

فلما رجع من عند «عمر» قام بحفر الخليج واستغرق ذلك منه ستة

(١) النويري : نهاية الأرب / جـ ١٩ / ٣٢٦ ، ٣٢٧ .

أشهر وجرت فيه السفن يحمل الميرة إلي « الحجاز » فسمي خليج أمير المؤمنين يعني « عمرو بن العاص » رضي الله عنه لأنه هو الذي أشار بحفره.

ويقع هذا الخليج بظاهر فسطاط «مصر» ، ويمر من غربي «القاهرة» وهو خليج قديم احتفره بعض قدماء ملوك «مصر» ، بسبب «هاجر أم إسماعيل» حين أسكنها «ابراهيم» عليه السلام «بمكة» ثم طمدته الدهور والأعوام ؛ فجدد حفره ثانياً بعض من ملك مصر من ملوك الروم بعد «الاسكندرية» .

والجدير بالذكر هنا ان «عمرو بن العاص» قد تمكن من القيام بهذه الأعمال علي أرض «مصر» بانفاق الأموال عليها لأن أمير المؤمنين «عمر بن الخطاب» جعل اليه ولاية الصلاة والخراج ولا ريب أن مجهودات «عمرو» في اصلاح ما فسد من المباني، وما حل بالقري نتيجة الحروب التي كانت بين الروم والمسلمين واهتمامه بانشاء المرافق قد أدي الي انخفاض الوارد الي الخلافة من أموال الخراج ، مما أدي الي ظهور خلاف بين «عمر بن الخطاب»و «عمرو بن العاص» فأمير المؤمنين كان يعلم عن «مصر» أنها ذات خراج كبير اعتمد عليه البيزنطيون في معيشتهم ، وان «عمرو» حين فتح الله له هذه البلاد أرسل الي حاضرة الدولة الاسلامية ، خراج مصر بشكل كامل يتوافق مع ما فرضه الصلح علي المصريين من أعيان أو نقود فكان قدره ألفي ألفي دينار [1] وكان «عمرو بن العاص» اضطر الي نقصان الوارد الي

(١) البلاذري : فتوح البلدان /جـ١ / ٢٥٣ - ٢٥٦ - المقريزي : الخطط / جـ٢ / ٧٦ - سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام / ٤٩ .

حاضرة الخلافة من أموال خراج «مصر» نظراً للقحط والكوارث اللتين أصابا بعض القري ، فلما وجد أمير المؤمنين تكرار ذلك من عامله علي «مصر» كتب إليه أكثر من رسالة تلقي عليها ردود ، فكان حوار بين أمير المؤمنين وعامله حرص كلاهما فيه علي الدفاع من وجهة نظره .

ولسنا هنا في مقام يسمح بسرد جميع الرسائل المتبادلة بين الخليفة وعامله بسبب الخراج وتلك التي ترتب عليها خلاف بين «عمر بن الخطاب» وبين «عمرو بن العاص» استمر الي أن توفي الأول .

بيد أننا نجتزي عن ذلك بايراد بعض هذه الرسائل حتي يقف القارئ علي الحرية التي كفلها الاسلام للمحكومين وحرص الحاكم علي حقوق راعيته ومنها ما كتبه «عمر» الي «عمرو بن العاص» يقول فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله «عمر» أمير المؤمنين الي «عمرو بن العاص» سلام عليك فاني احمد إليك الله الذي لا اله الا هو أما بعد .. فاني فكرت في أمرك والذي أنت عليه، فاذا أرضك واسعة عريضة رقيقة، قد أعطي الله أهلها عدداً وجلداً وقوةً في بر وبحر وانها قد عالجتها الفراعنة، وعملوا فيها عملاً محكماً مع شدة عتوهم وكفرهم ، فعجبت من ذلك وأعجب مما عجبت أنها لا تؤدي نصف ما كانت تؤديه من الخراج قبل ذلك علي غير قحوط ولا جدب ولقد أكثرت في مكاتبتك في الذي علي أرضك من الخراج فاذا أنت تأتيني بمعاريض تبعت بها لا توافق الذي في نفسي ، ولست قابلاً منك دون الذي تؤخذ من الخراج قبل ذلك ، ولست أدري ما الذي نفرك من كتابي وقبضك، فلإن كنت مجرياً كافياً صحيحاً أن

البراءة لنافعة ، وان كنت مضيعاً نطعاً (متشدقاً) ان الأمر لعلي غير ما تحدث به نفسك ، وقد علمت انه لا يمنعك من ذلك الا عمالك عمال السوء ما توالس عليه (تجاه) وتلقف (تجمع حولك) ، اتخذوا كهفا وعندي باذن الله دواء فيه شفاء عما أسئلك عنه، فلا تجزع أبا عبد الله أن يؤخذ منك الحق وتعطاه فان النهر يخرج الدر، والحق أبلج، ودعني وما عنه تلجلج فانه قد برح الخفا والسلام]

فأجابه «عمرو» عليها باسلوب يحمل بين جمله اعتزازاً بسياسته ودفاعاً عن نفسه فنفي ما الح اليه الخليفة من تقصير نسبه الي «عمرو بن العاص» في قيامه بمهام عمله قائلاً :

بسم الله الرحمن الرحيم : لعبد الله «عمر» أمير المومنين من «عمرو بن العاص» سلام الله عليك فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو أما بعد .. فقد بلغني كتاب أمير المؤمنين في الذي إستبطأني فيه منه الخراج والذي ذكر فيها من عمل الفراعنة فملي إعجابه من خراجها علي أيديهم، فقضي ذلك منها منذ كان الاسلام ، وذكرت ان النهر يخرج الدر فحلبتها حلباً قطع ذلك درها وأكثرت في كتابك وأنبت وغرضت وثربت وعلمت ان ذلك عن شئ تخفيه علي غير خبر، فجئت لعمري بالمقظعات المقدعات (الأمور الفظيعة) ، ولقد كان لك فيه من الصواب من القول ، رصين صارم ، بليغ صادق، ولقد علمنا رسول الله ﷺ ومن بعده فكنا بحمد الله مؤديين لأمانتنا حافظين بما عظم الله من حق أئتمنا، وتري غير ذلك قبحاً والعمل به شيئاً (سيئاً) فتعرف ذلك لنا وتصدق فيه قبلنا، معاذ الله من

تلك الطعم ومن شر الشيم والاجتراء علي كل مأثم فاقبض عملك فان الله قد نزهني عن تلك الطعم الدنية ،و الرغبة فيها، بعد كتابك الذي لم تسبق فيه عرضاً، ولم تكرم فيه أخاً والله يا ابن الخطاب لأنا حين يراد ذلك مني أشد لنفسي غضباً ولها إثرها واكراما ، وما عملت من عمل أري علي فيه متعلقاً ، ولكني حفظت مالم تحفظ ولو كنت من يهود يثرب ما زدت ، يغفر الله لك ولنا وسكن عن أشياء كنت بها عالماً ، وكان اللسان بها مني زلولاً (زالفاً) ولكن الله عظم من حقك ملا يجهل والسلام](١)

ويلوح لنا ان «عمر بن الخطاب» صبر علي واليه تبادل الرسائل معه لأنه لم يكن قد وصل الي يقين يجعله عنده منعوتاً بالخيانة او التقصير انما الأمر لا يعدو بين الرجلين عن كونه خلاف في السياسات «فعمرو» لم ينقص أموال الخراج الا للأسباب التي ذكرناها فلما طال الاخذ والرد بين الرجلين أراد «عمر» ان يضع حداً للشكوك التي داخلته في شأن سياسة «عمرو» فكتب اليه كتاباً عدد فيه أنماط النعيم الذي أصبح فيه «عمرو بن العاص» بعد ما آلت مصر اليه وهذا يخالف سياسة «عمر» في الزهد والتقشف فكان ارسال «محمد بن مسلمة»(٢)الي عمرو ولا عن خيانة رآها الخليفة في واليه

(١) المقريزي : الخطط /جـ١/٧٨ – السيوطي: حسن المحاضرة/جـ١/١٤٧، ١٤٨

(٢) ابن خالد بن عدي بن مجدعة الحارث بن الخزرج شهد المشاهد كلها مع النبي محمد ﷺ الا تبوك فقد كان بها نائبا عن النبي ﷺ بالمدينة يدير أمرها حتي يعود بها الرسول من الغزو ولاه عمر بن الخطاب جباية الصدقات اعتزل الفتنة بين علي وعثمان لحديث سمعه عن النبي محمد في ذلك الوقت ، توفي بالمدينة سنة ست وأربعين من الهجرة وقيل في التي تليها عن عمر بلغ سبعا وسبعين سنة .
– ابن الأثير : اسد الغابة /جـ٤/ ٣٢٠ .

بقدر ما هي رغبة في جعل الوالي يعيش بحاضرة مصره عيشة أميره في الزهد والتقشف وليس معيشة الأباطرة والقياصرة فذكر أمير المؤمنين في كتابه الي «عمرو بن العاص» [أنه قد فشت لك فاشية من متاع ورقيق وآنية وحيوان لم تكن حين وليت «مصر» فكتب اليه «عمرو» ان أرضنا أرض مزدرع ومتجر منحني نصيب فضلاً عن ما نحتاج اليه لنفقتنا .فكتب اليه : اني قد خبرت من عمال السوء ما كفي ، وكتابك الي كتاب من أقلقه الآخذ بالحق وقد سؤت بك ظناً ، وقد وجهت اليك «محمد بن مسلمة» ليقاسمك مالك فأطلعه طلعه وأخرج اليه ما يطالبه ، واعفه من الغلظة عليك ، فانه برح الخفاء فقاسمه ماله .

ويذكر البلاذري ان «محمد بن مسلمة» لما جاء مصر ليقاسم «عمرو بن العاص» ماله دار حوار بينهما قال فيه الأخير للأول (ان زمانا عاملنا فيه ابن حنتمه هذه المعالمة لزمان سوء لقد كان «العاص» يلبس الخز بكفاف الديباج، فقال محمد : مه لولا زمان ابن حنتمه هذا الذي تكرهه ألفيت معتقلا عنزاً بفناء بيتك يسرك غزارها[1] ويسؤك بكاؤها ، قال : انشدك الله ان لا تخبر عمر بقولي ، فان المجالس بالأمانة ، فقال :لا أذكر شيئاً مما جري بيننا وعمر حي) [2].

والذي يدعم ما قررناه ان «عمر بن الخطاب» لم يعمد الي عزل واليه عن مصر بالرغم من مشاطرته لواليه ماله ولعل أمير المؤمنين اقتنع بوجهة

---

(١) الكثرة في كل شئ : ابن منظور : لسان العرب / مادة غزر .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان /جـ١ / ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

النظر التي ابداها «عمرو» من ان وفرة خيرات «مصر» جعله في نعيم العيش فالأسعار بها رخيصة ومن ثم فما ينفقه من مال علي نفسه وآل بيته مع قلته يجعله يعيش في ظل حياة منعمة للفت الانظار اليها فكان ما كان من امر «عمر» معه .

هذا الرأي الذي قررناه يخالف ما ذكره احد الباحثين بعد تعقيب علي الرسائل التي ألح فيها «عمر» بخيانة واليه علي «مصر» .

حيث قرر ان «عمر» لم يكتب الي «عمروبن العاص» الا بعد تجاوزات مالية وقع عامله عليها الا انها لم تكن بالتجاوزات الخطيرة التي تجعل «عمر» يعزل واليه فقال [لسنا نماري في ان «عمرو بن العاص» انما كان يحب جمع المال لنفسه وأهله حباً جما ولكنه ليس حب المال الذي يدفعه بأن يكون انساناً ضيق الافق ، قصير النظر فيعمد الي ذبح الدجاجة التي تبيض له الذهب كل يوم فهذا أسلوب بعيد عن عمراً منه، لانه اسلوب جشع مجرب « فعمرر بن العاص» ليس من صفاته البلاهة والغفلة ، وانما هو رجل ذكي أريب لا يأخذ لنفسه شيئا دفعة واحدة بل يزيد في عمران البلد الذي تولي أمره ، وينفق عليه بعض ما يحصل من خراج، ويكفل لرعاياه الرخاء والاستمتاع بالحياة فيحفزهم هذا الي زيادة الجهد لانهم يعلمون ان لهم من ذلك حقاً مكفولاً ، و «عمرو» يدرك أيضاً تمام الادراك انه لا مال الا بعمران ولا عمران الا بعدل وشتان بين طمع يعمي البصيرة الواعية ، وطمع يمسك العقل اليقظ بعنانه ، فيطوعه حسب مشيئته ، ليغنم عن طريق الربح المأمول(١).

(١) عبد الخالق ابو رابيه: عمرو بن العاص / ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

وعلي كل حال فان هذه الرسائل المتبادلة بين أمير المؤمنين و«عمرو بن العاص» لم تسفر عن شئ سوي ان الخليفة رضوان الله عليه اشرك «عبد الله بن سعد بن أبي السرح» مع « عمرو بن العاص» أمر «مصر» فقد جعل اليه حكم «الصعيد» و«الفيوم» ودفع «النوبه»، وجعل اليه جباية الخراج وان «عثمان» حين آل اليه أمر الأمة ابقي علي «عمرو بن العاص» في «مصر» مدة عام ثم عزله .

فقرر بعد ذلك أيلولة خراجها كله الي «ابن ابي السرح»[1] حين رأي الخلاف محتدما بينه وبين «ابن العاص» فكتب «عثمان » الي «عمرو» يقول [لا خير لك في المقام عند من يكرهك ، فأقدم الي فانتقل «عمرو بن العاص» الي المدينة وفي نفسه من «عثمان» أمر كبير ، فكلمه فيما كان من أمره بمصر ، وتفاؤلا في ذلك وافتخر «عمرو بن العاص» بأبيه علي «عثمان» وانه كان أعز منه ،فقال عثمان : دع هذا فانه من أمر الجاهلية[2].

ولنا ان نتسائل عن الأسباب التي جعلت «عثمان بن عفان » رضوان الله عليه بعزل «عمرو» عن «مصر» ويوليها «ابن ابي السرح» .

الجواب عن ذلك : راجع الي اسباب ذكرها بعض المؤرخين القدامي والباحثين المحدثين وهي :

١ - ان الجماعات التي وقفت من خلافة «عثمان» موقفاً مناوئاً لاذت بمصر فلم تستطيع التحرك فيها بحرية ، حيث ان «عمرو» كان يلاحقها اينم

(١) الكندي : ولاة مصر / ٣٣ - ابن حجر : الاصابة جـ٢/ ٣١٧ .

(٢) خليفة بن خياط : تاريخه /١٧٨ -الطبري :جـ٤/٣٥٦ - ابن كثير:البداية والنهاية / جـ ٧ / ١٧٠ .

كانت فلم تجد سبيلاً يخلصها من ملاحقة الوالي لها سوي ان تكتب في الوالي الشكايات الي «عثمان بن عفان» ومن ثم كان عزل الخليفة «لعمرو بن العاص» عنها [١].

٢ - ما زعمه احد الباحثين من ان «عثمان» رضوان الله عليه عزل «عمرو بن العاص» عن «مصر» من باب تصفية الحسابات ، فان «ذا النورين» قد كان يري في «عمرو بن العاص» طموحاً زائداً يجعله يقدم علي المغامرات غير المحسوبة من أجل تحصيل ما يريد ومن ثم خاف الخليفة علي «مصر» منه .

فلا مانع والحالة هذه اذا طال عهد ولايته بها ان يعمد الي الاستقلال بأمورها عن الدولة الاسلامية لذلك رأي «عثمان» الخير في عزل «عمرو» عن «مصر» .

ودلل الباحث علي صحة ذلك السبب الذي ذكره بالالماع الي رأي «عثمان» في «عمرو» لدي «عمر بن الخطاب» لما أعلم الحضور انه أشخص «عمرواً» الي «مصر» وقد أسلفنا في حديثنا تفاصيل هذا الرأي ونحن نتناول روايات المؤرخين حول توجيه «عمرو بن العاص» الي «مصر» .

٣ - وذكر هذا الباحث ايضا ان «مروان بن الحكم» لعب دورا كبيراً في ايغار صدر «عثمان » علي عامله بمصر «عمرو بن العاص» «فمروان بن الحكم» نفسعلي «عمرو» مكانته ويخشي منه الخطر الأكبر اذ رسخت في

(١) ابن كثير : البداية والنهاية /جـ ٧ / ١٧٠ .

«مصر» قدمه ، وظل فيها قائما بالامر الي ان يبعث الخليفة في الهرم، ويؤذن عهده بانقضاء ويطمع الي الخلافة نفسها ، هذا الي ان سياسة «عثمان» في الحكم كانت تقضي الا يجمع الوالي بين الحكم والخراج في حين ان سياسة سلفه «عمر» كانت تقضي بان يكون الخراج والحكم في يد وال واحد [1].

ونحن اذا أمعنا النظر فيما ذكره هذا الباحث من اسباب جعلت «عثمان» يقدم علي عزل «عمرو بن العاص» عن «مصر» نجد النفس لا تميل الي الاخذ بما جاء فيهافلا يتصور المرء ذا النورين رجلا لا يضع مصالح الامة نصب عينيه فيعمد الي عزل عامل عن بلد هام يحكمه مثل «مصر» لا لسبب سوي انه يريد تصفية الحسابات معه .

كما لا يتصور ان «مروان » كان وراء عزل «عمرو بن العاص» بسبب ما بينهما من تنافس علي تبوّ المناصب الهامة في الدولة الاسلامية وان يعزل عثمان «عمرو» استجابة لمساعي «مروان» دون ان يحكم عقله فيما يتخذه من قرارات فان الذي لا يدخلنا شك فيه هو ان مصالح الأمة كانت موضع اعتبار « عثمان» باليل والنهار ، وان هذا الخليفة كان هدفاً لأقول الرواة الذين صوروه في رواياتهم شخصا ساذجا يسيره هذا أو ذاك حسب هواهم وأنه لا رأي له في الأمور وهيهات ان يكون «عثمان» من أولئك النفر لانه حين آلت اليه الخلافة كان واحدا من ستة رجال افاضل ليس في الامة كلها من يدانيهم في مكانتهم وحسبهم ان النبي بشرهم بالجنة وحسبهم كذلك ما لهم من ماضي رائع في الاطوار المختلفة التي مرت بها الدولة الاسلامية .

(١) عبد الخالق أبو رابية عمرو بن العاص بين يدي التاريخ / ٢٨٨ .

فكيف يتسني للرواة ان يقولون عن «عثمان»، وان ينطلي علي الباحثين المحدثين هذه الروايات ، فياخذوها مآخذ مسلمات دون ان يجهدوا الذهن في تفنيدها والذي ترتح اليه النفس في سبب عزل «عمرو» عن «مصر» هو ان «عمرو» انف ان يعمل مع «ابن ابي سرح» وللاخير السيطرة المالية عليه فيكون سلطانه والحالة هذه متقلصاً، بعد ما كان «بمصر» واسعاً ففضل «عمرو» العزل علي هذه الحالة التي أومأنا اليها .

والذي يدعم ما ذهبنا اليه ما قاله «عمرو» بعد علمه بتوليه «ابن ابي السرح» خراج «مصر» كلها (انا اذن كماسك البقرة بقرنيها آخر يحلبها) .

ولما وصل «عمرو بن العاص» الي المدينة، التقي خليفة «عثمان بن عفان» فدار حوار بينهما حول أمور «مصر»، وما كان من أمر عزل «عمرو» عنها، وظل الوالي المعزول في المدينة وسماء العلاقات بينهما ملبدة بالغيوم ، ولم يدع «عمرو بن العاص» فرصة تواتيه الا ونفذ فيها سياسة الخليفة وأنشأ الوالي المعزول يرقب الأحداث في المدينة ، وهو مقيم بقصره في فلسطين[1] في وقت بلغه فيه أمور الثوار مداها ، حتي كان ما كان من أمر قتلهم للخليفة وهنا يتأهب «عمرو بن العاص» دور جديد سيعيدة الي الحياة السياسية ، مهتبلاً نشوب الفتنة بين «علي» و «معاوية» رضوان الله عليهما كما بعد ذلك ونحن نتحدث عن ولاية «عمرو» الثانية علي مصر .

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك/جـ٤ / ٤٥٧ - المسعودي :مروج الذهب/ جـ٢/٣٦٣ - النويري : نهاية الأرب /جـ ١٩ / ٤٨١ .

ولايـــة ابـــن ابي الســـرح علي مـصـــر

آل أمر «مصر» بعد عزل « عمرو» عنها الي الوالي الثاني من ولاتها في عصر الراشدين وهو «عبد الله بن سعد بن ابي السرح بن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن مالك بن حسْل بن عامر بن لؤي » نشأ صاحبنا في مكة وعاصر النبي محمد ﷺ[1]وكان من كتاب الوحي المعدودين لرسول الله ﷺ، فكان يكتب لرسول القرآن فتعمد الي استبدال بعض الالفاظ باخري فيقول (غفور رحيماً) حيث كان النبي يملي عليه (عزيزاً حكيماً) وعزيز حكيم فيقول عليم حكيم ، عليم سميع بدلا من سميع عليم ، ويقال ان تحريفه للقرآن حدث منه وهو يكتب للنبي قول الله تعالي « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين» الي قوله تعالي « ثم أنشأناه خلقا آخر»[2] تعجب من تفصيل خلق الانسان فطفق بقوله « تبارك الله احسن الخالقين » ، قبل املاءه فقال له رسول الله ﷺ اكتب ذلك هكذا نزلت فقال عبد الله، ان كان محمد نبياً يوحي اليه فانا نبي يوحي الي ، فارتد ولحق بمكة ، فقال لقريش اني كنت أصرف محمداً كيف شئت[3] .

(١) ابن سعد:الطبقات الكبري /جـ٧ / ٣٤٤ ، ٣٤٥ - الكندي : ولاة مصر/ ٣٥،٣٤

(٢) سورة المؤمنين - آية ١٢ : ١٦ .

(٣) استغل المستشرق الفرنسي لجيش بلاشير قصتارتداد ابن ابي السرح فشكك في صحة القرآن الكريم وعدم تطرف التحريف الي آياته فقال عنه في كتابة الوحي [اذا كنا نستطيع ان نثق ببعضها ثقة مطلقة فما نقول في رجل كعبد الله بن ابي السرح الذي ارتد وافتتن] - محمد مصطفي كتاب النبي ٨٥ : ٨٨ .

ولا يتسع لنا المقام بالرد علي مثل هذا الافتراء بشكل تفصيلي انما نقول له علي سبيل الاجمال انه لو قراء القرآن الكريم لاستوقفه قول الله تعالي «سنقرأك فلا تنسي الا ما شاء الله» فهذا يجعله يعلم ان النبي يحفظ القرآن الكريم ثم نقول له في تعجب اذا كان الذي زعمت واقع فمن الذي كشف واقعه - ابن ابي السرح سالفة الذكر اللهم الا اذا ان يكون ذلك عن حفظ فائق لرسول الله لآيات القرانالكريم .

ولما فتح النبي «محمد» ﷺ «مكة» كان ابن ابي السرح ممن أهدر النبي ﷺ دمه[1] للسبب الذي ذكرناه فاختبأ عند عثمان فجاء به الي النبي حتي أوقفه ، وهو يباع الناس فقال يا رسول الله بايع عبد الله فبايعه بعد ثلاث ثم اقبل النبي علي اصحابه فقال اما كان فيكم رجل رشيد يقوم الي هذا حين رآني كففت يدي عن مبايعته فيقتله[2] .

ظل« ابن ابي السرح» في خلافة الصديق ثم «عمر» رضوان الله عليهما كغيره من الأجناد الذين بثهم الخليفتان لنشر دين الاسلام في البلاد المجاورة فكان كل يوم يمضي علي «ابن السرح» يزيد من نجمه صعوداً، اذا كان يحاول غسل ذنبه السابق بقيامه بأعمال بذ بها الاقران ، فاسترع انتباه «عمرو بن العاص» فجعل اليه ميمنة الجيش الاسلامي المتوجه لفتح «مصر» [3]والذي لا مراء فيه ان «عمرو بن العاص» ما كان ليعهد بميمنة هذا الجيش الا لرجل كان مضرب الامثال بين جند المسلمين في بلاد «الشام»، ولا سيما انه يعلم ما للروم من قوة ومناعة في أرض «مصر»، زاد منها لجوء الروم الفارين من بلاد «الشام» الي اخوانهم المقيمين علي ارضها .

والذي يدل علي كفاءة «ابن ابي السرح» ايضا ما سلفنا ذكره ، ونحن نتناول ولاية «عمرو بن العاص» علي «مصر» من أن «عمر» رضوان الله عليه جعل « لابن ابي السرح» ولاية الفيوم والصعيد وجزء من خراج مصر[4].

---

(١) ابن سيد الناس : عيون الاثر /جـ٢ / ٣١٦
ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة /جـ ١ ٧٨
- محمد مصطفي : كتاب النبي / ٧٦
(٢) ابن حجر : الاصابة / جـ ٢ / ٣١٧
(٣) ابن حجر : الاصابة /جـ ٢ / ٣١٧ .
(٤) المقريزي : الخطط / جـ ٢ / ٣٣٥ .

فأمير المؤمنين حين يدفع اليه بهذا المنصب في وقت كان فيه «عمرو بن العاص» الداهية الأريب ،صاحب الحول والطول في البلاد لا ريب يجعلنا نقول في ارتيح شديد ان «ابن ابي السرح» كان في مصاف القضاة الموجودين بمصر ان لم يكن أفضلهم واقدرهم علي القيام بالمهام الادارية ، والا لما اقدم «عمر بن الخطاب»» العارف بالرجال علي الاستعانة به في هذا الظرف العصيب بالنسبة لعلاقته «بعمرو بن العاص» عامله علي مصر .

استمر «ابن ابي السرح» في «مصر» بعد ان آل امر الأمة الي عثمان يزاحم «عمرو بن العاص» علي أمرها حتي صفا له الجو بعزل الخليفة «عمرو بن العاص» عنها سنة ٢٥ علي قول قيل ٢٧ علي آخر والوالي الجديد تربطه الخليفة وشائج قربي حيث كان أخوه من الرضاعة (١).

ويذكر المؤرخون ان «ابن ابي السرح» قد خالف سياسة سلفه في الرعية ، فقد زاد الخراج علي اهلها ، وارسل الي حاضرة الدولة مقداراً زائداً من المال علي ما كان يبعث به «عمرو بن العاص» ، مما جعل الخليفة «عثمان بن عفان» يقول «لعمرو بن العاص» بعد عزله عن مصر [يا ابا عبد الله درت اللقحة باكثر من درها الاول ، قال : أضررتم بولدها فقال: ذلك ان لم يمت الفصيل] (٢).

ولا يسع الدارس وهو يتناول ولاية «سعبد بن ابي السرح» علي «مصر» الا ان يلمع ولو بايجاز الي الاعمال العظيمة التي قام بها الوالي انطلاقا من ارضها فان « ابن ابي السرح » ادرك ان المسلمين «بمصر» لا يأمنون علي أنفسهم مادام البيزنطيون في البلاد المتاخمة لحدود «مصر»

(١) ابن كثير : البداية والنهاية / جـ ٧ / ١٥١ - النويري :نهاية الأرب /جـ١٩/ ٥١٠
(٢) ابن كثير : البداية والنهاية /جـ٧ / ١٠٠ - المقريزي : الخطط / جـ١ / ٧٩

الغربية، وهذه الحقيقة ما كانت لتغيب عن البطريق مريحوريوس فانه اخذ يعد رجاله في شمال افريقية للخطر الذي يتهدده من جند المسلمين المقيمين بمصر فنقـل عاصمته الواقعة في أقصي الطرف الشمال الشرقي من ولاية أفريقية علي الساحل الي موضع أمن في جوف البلاد، حتي لا يتعرض لغزو العرب، وأنشأ يعمل علي التودد للبربر ، حتي يكونوا معه اذا ما داهم المسلمون بلده ، فلما استقر الأمر «لابن ابي السرح» في مصر كتب للخليفة «عثمان» رضوان الله عليه - في سنة سبع وعشرين من الهجرة - يستأذنه في تسيير الجيوش الي شمال افريقيا ، حتي تأمن حدود «مصر» خطر الاعداء فلما وصل كتاب «عمرو» الي الخليفة أدار مشاورات مع كبار الصحابة للوقوف علي رأيهم فيما كتب به اليه الي ابي السرح[1].

فوافق السواد الأعظم منهم علي تسيير الجيوش الي هذه البلاد، وبهذا يكون «عثمان» رضوان الله عليه قد خالف سياسة «عمر» هذا الامر، حيث كان الفاروق يري الاكتفاء بفتح «مصر»، وعدم التوغل في البلاد التي تليها، حتي لا يؤدي هذا التوغل الي إضعاف قوي المسلمين .

ومن ثم يسهل علي أعدائهم النيل منهم.

وعلي كل حال فان «ابن ابي السرح» لما وصلت جيوش الخلافة الاسلامية غادر مصر بعدما استخلف عليها متوجها إلي شمال أفريقيا ، فالتقي بجيوش البيزنطيين في موقع يقال له سبيطله[2] في جنوب غربي القيروان التي لم تكن قد أسست بعد .

---

(١) ابن أعثم : الفتوح / حـ ٢ / ١٣١ ، ١٣٢.

(٢) بالضم ثم الفتح وياء مثناة من تحت وطاء مكسورة ولام مدينة من مدن افريقية ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع حـ ٢ / ٦٩٢ - ابن اعثم : الفتوح حـ ٢ / ١٣٧/١٣٦

وعلي الرغم من ان المسلمين قد أحرزوا الانتصار علي البيزنطيين الا ان عبدالله بن سعد بن ابي السرج قد اضطر الي عقد معاهدة للصلح مع البيزنطين مقابل جزية سنوية يدفعونها ، علي أن يخلي «افريقيه» وكان ذلك الاضطرار بسبب سيره الي «مصر»، لمواجهة النوبة الذين هددوا «مصر» من ناحية الجنوب[1]، فإن هذه الجماعة دأبت علي القيام بالاغارات علي «مصر» من الجهة المذكورة بين الفينة والفينة، الأمر الذي كان يكلف عمال ابن ابي السرج كثيرا من المال والرجال.

فأراد الوالي ان يجرد اليهم الجيوش ليخضعهم لسلطة المسلمين ، بعد ما تمكنت ن تأمين حدود «مصر» الغربية من جهة البربر وحلفائهم البيزنطيين كما سلفنا، فسار بنفسه علي رأس الجيش المسلم، حتي التقي بالنوبيين في (دمقلة) وهناك ذهبت أعين كثير من المسلمين حيث ان النوبيين عرفوا بالمهارة في رمي الأعين المقاتلين بالسهام ، حتي أطلق عليهم مناوؤهم رومات الحدق .

وبعد جهاد عظيم ، وقتال مرير خاضة المسلمون في وجه النوبيين سنة احدي وثلاثين من الهجرة، استطاع «ابن ابي السرح» تسوية الأمر معهم علي غرار البربر، فعقد معهم صلحا فيه (إنا عاهدناكم وعاقدناكم ان توفونا في كل سنة ثلثمائة رأس وستين رأسا وتدخلون بلادنا مختارين غير مقيمين وكذلك ندخل بلادكم علي انكم ان قتلتم من المسلمين قتيلا فقد برِئَتْ منكم الهُدنَةَ وعلي إن آويتم للمسلمين عبدا فقد برئت منكم الهُدنة وعليكم رد أبَاقِ المسلمين ومن لجأ إليكم من أهل الذمة[2].

---

(1) البلاذري : فتوح البلدان /جـ١ /٢٦٧،٢٦٨ - ابن اعثم : الفتوح /جـ١ /١٣٦، ١٣٧ - محمود شاكر : التاريخ الاسلامي/جـ٣/ ٢٣٠

- عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية / ٢٢٤ .

(٢) ابن عبدالحكيم : فتوح البلدان/١٨٩ - السيوطي:حسن المحاضره حـ١/١٢٤/١٤٤

وعلي كل حال فإن ولاية «ابن ابي السرح» علي «مصر» كانت ولاية تأمين وجهاد، تأمين البلاد التي فتحها «عمرو بن العاص»، وجهاد للبيزنطيين الذين عزا عليهم ما أخذ المسلمون من بين أيديهم، فان «مصر» كانت درة في تاج ملكهم كما أومأنا الي ذلك في الفصل الأول.

ومن ثم فإننا لا نعجب اذا ما رأينا المحاولات البيزنطية متتابعة من اجل النيل من المسلمين في «مصر» وطردهم عنها .

فقد أخفق الروم سنة خمس وعشرين من الهجرة لما حاولوا أخذ الاسكندرية حيث لحق بهم المسلمون هزيمة منكرة أعادت المدينة اليهم بعد ما كان الروم قد أخذوها من بين أيدي العرب الفاتحين .

ولقد ذكرنا هزيمتهم في شمال افريقيا، تلك التي دفعوا فيها الجزية للمسلمين ومع ذلك فانه لما وصلت أخبار العرب في «افريقيا» بعد «الاسكندرية» الي الامبراطور البيزنطي أزمع الروم البيرنطيون علي منازلة العرب في ميدان يكونون فيه اصحاب اليد العليا عليهم فكانت معركة ذات الصواري هذه المعركة البحرية التي شارك فيها الروم بستمائة سفينة والمسلمون بمائتين[1].

فلم يفزع المسلمون من كثرة عدد السفن البيزنطية ، بالرغم من أنهم لم يألفوا قتال البحر، اذ لا خبرة سابقة لهم به ولم يحرزوا فيه انتصارات طويلة كذلك التي أحرزوها علي الاعداء في البر بالبلاد المفتوحة .

فأقبلوا مدفوعين بإيمانهم بربهم ، ثم معنوياتهم المرتفعة بسبب الانتصارات التي أحرزوها علي الروم في الاسكندرية وشمال افريقيا والتحمت سفن الفريقين فكانت كالأرض اليابسة علي الماء، انتقلت منها واليها المقاتلة من الفئتين وخشعت اصوات جند المعسكرين.

---

(١) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة حـ ١ / ٨١.

فلم تسمع الأذن سوي قعقعة السيوف وطعنات الخناجر فها هو شاهد عيان من الجيش الاسلامي يصف لنا هول ما كان :

(دنونا منهم فربطنا السفن بعضها الي بعض حتي كنا يضرب بعضنا بعضا علي سفننا وسفنهم ، فقاتلنا اشد القتال ووثبت الرجال علي الرجال يضطربون بالسيوف علي السفن ويتواجئون بالخناجر حتي رجعت الدماء الي الساحل تضربها الامواج، وطرحت الامواج جثث الرجال .

وقتل يومئذ من المسلمين كثيرا ! وقتل من الكفار مقتلة عظيمة لم ينج منهم الا القليل وصبر الفريقان يومئذ صبرا لم يصبروه في موقعه قط، لان كلا الفريقين يعرف انها موقعة فاصلة لها ما بعدها .

انزل الله نصره علي عباده المسلمين ، وانهزم قسطنطين، بعد ان اصيب بجراحات بالغة وكانت هذه الموقعة في ٣١ هـ بالقرب من الاسكندرية)[1].

وهكذا نري «ابن ابي السرح» يستطيع في سنة احدي وثلاثين من الهجرة وحدها يقوم بعملين عظيمين:

أولهما : تأمين حدود مصر الجنوبية من جهة النوبة .

ثانيهما : تأمين حدود «مصر» الساحلية حين لقن الروم درسا في معركة بحرية هي معركة ذات الصواري مما يدلنا لا ريب علي ان «ابن ابي السرح» لم يكن يدير الأمور في مصر علي غير جد معتمدا علي قرابته لعثمان كما زعم المغرضون بل كاني عمل علي نشر الرخاء بها وتأمين حدودها قدر طاقته .

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك حـ ٤ / ٢٨٨، ٢٩٠ - الكندي : الولاة والقضاه ٣٧/٣٦

- ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة حـ ١ / ٨١ : ٨٣ - احمد الشامي : الخلفاء الراشدون ٢٩٢ ابو زيد شلبي : الخلفاء الراشدون ١٦٩/ ١٧٠.

وإذا كنا قد ألمعنا إلي أبرز معالم جهاد «ابن ابي السرح» لأعداء الإسلام المتربصين بعمله خلال مدة ولايته فإنه يحسن بنا أن نولي وجهنا بعد ذلك شطر حدث جلل وقع في فترة ولايته فروّع الدولة الاسلامية من أدناها إلي أقصاها ونعني به الثورة علي عثمان .

موقف المصريين من عثمان بن عفان رضوان الله عليه

كانت «مصر» التربة الصالحة التي أوي إليها المغرضون الذين ناوءوا «عثمان بن عفان» نظراً لعدة عوامل :

١ - أن واليها «ابن أبي السرح» قضي معظم فترات ولايته يبذل الجهد من اجل تأمين حدود البلاد ، فاستنفد ذلك منه الوقت الطويل، والمال الكثير وشغله عن المتابعة الدقيقة لما يدور من وراء ظهره في الجبهة الداخلية «بمصر»، وليست الشام كذلك ، فإنها كانت تنعم بالاستقرار في ظل حكم «معاوية بن أبي سفيان» ولا كذلك «البصرة» و «الكوفه» لأن عمالها منحوا الجبهة الداخلية جل عنايتهما.

٢ - مجئ «عبدالله بن سبأ» إلي «مصر» فوجدها ملائمة عن البلاد التي كان مر عليها قبلا للعامل الذي سلفناه، وهذا الرجل ممن إعتنق الاسلام ظاهراً، وأضمر عليه الحقد باطناً .

فأنشأ «ابن سبأ» ينادي بمبادئه في المصرين ، فكان يقول : (كيف نقول «لقيس» و ننفي ذلك عن «محمد» ومما قاله أيضا، أن لكل نبي وحياً، ربما أن محمد خاتم الأنبياء فإن عليا خاتم الأوصياء[1].

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك / حـ ٤ / ٣٥٧ - السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ الدوله العربية / ط ٢ / ٨٩.

أحمد الشامي : الخلفاء الراشدون / ٣١٠ ، ٣١١.

٣ - وكان لإنضمام اثنين من الصحابة إلي الحركة السبائية هما «محمد بن حذيفة» و «محمد بن ابي بكر» عظيم الأثر، علي جعل الجم الغفير من المصريين يقبلون علي الانضمام الي هذه الحركة، ويجعلون من أنفسهم آذانا مصغية ، وأفئدة واعية، فحفظوا أقوال «ابن سبأ» وصدقوا كذبه علي «عثمان».

وهؤلاء المصريون العوام الذين انطلت عليهم اقوال «ابن سبأ» صدقوه لأنهم وجدوا «محمد بن ابي حذيفة» الذي رباه «عثمان» في حجرة قد صدقه ، وجعل من نفسه عضدا يتقوي به «ابن سبأ».

و «محمدَ بن ابي بكر الصديق» الذي كان أبوه مع النبي ثاني اثنين إذ هما في الغار: قد جعل من نفسه هو الآخر ظهرا قويا إرتكن إليه «ابن سبأ» في دعوته .

وللباحث ان يتسأل عن السبب الذي جعل الرجلين يقبلان علي «ابن سبأ» ويبذلان الجهد في سبيل تجميع المصريين من حوله ، ودعوتهم للايمان بمبادئه والجواب : «أن محمد بن ابي بكر» له صلة وثيقة تربطه «بعلي بن ابي طالب» الذي تزوج أمه «أسماء بنت عميس»، بعد وفاة ابي بكر ، فتربي «محمد» في بيت «علي» زوج أمه ، ومن ثم كان حماس «محمد بن ابي بكر» للنيل من خلافة «عثمان» حتي يصفو الجو «لعلي بن ابي طالب» فإنضم «لإبن سبأ» وتعاون معه .

وأما «محمد بن ابي حذيفة» فإنه كان حانقا علي «عثمان»، لأنه لم يسند اليه ولاية بعض أمور المسلمين ، علي الرغم من أن «عثمان» هو الذي تكفل بتربيته، بعد وفاة ابيه «أبي حذيفة» والذي جعل «عثمان» رضوان الله عليه ، يأبي تلبية رغبة ربيبة في تولي الأعمال هو أنه رآه غير كفء لهذا المنصب، حيث كان علم عنه شرب الخمر، وصارحه «عثمان» برأيه فيه، حين قال له : (لو كنت رضا لوليتك، ولكنك لست هناك»[1].

٤ - إن المصريين وقفوا من عامل «عثمان» ابن ابي السرح، موقف البعض، نظرا لانه زاد الخراج عليهم، وساسهم سياسة فيها ما فيها من القوة، تختلف عن تلك التي كانوا إعتادوها ، حين كان أمر البلاد الي سلفة «عمرو بن العاص» ناهيك عن كون الوالي أخا «عثمان» من الرضاعة[2]، مما جعل منه غرضا لسهام المغرضين علي الخليفة.

فلما كان ما كان من أمر استدعاء عثمان العمال للمشاورة «غادر ابن ابي السرح» «مصر»[3] في رجب سنة خمس وثلاثين للهجرة، مخلفا عليها

---

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب / حـ ٣ / ١٣٦٩ - يوسف علي يوسف : الخلافة الراشده والخلفاء الراشدون / ١٥١.

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك / حـ ٤ / ٣٥٧، ٣٥٨ - ابن كثير : البداية والنهاية / حـ ٧ / ١٧١ - يوسف علي يوسف : الخلافة الراشدة والخلفاء الراشدون / ١٥١.

(٣) الطبري : تاريخ الرسول والملوك / حـ ١ / ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٤٢ - المقريزي : الخطط حـ ٢/ ٣٣٥.

«السائب بن هشام العامري»[1] فاهتبل «محمد بن ابي حذيفة» فرصة غياب والي مصر عليها فثار بخليفة فطرده من حاضرتها وأنشأ، ومن معه من السيئين يزورون الكتب علي ألسنة أزواج «النبي محمد» يطلبون فيها النصرة من المسلمين علي الخليفة «عثمان بن عفان» الذي أدخل في الاسلام كذا وكذا ، وراحوا يغترون عليه من الافتراءات ما شاءوا ، فلما وقفت شيعة «عثمان» «بمصر» علي ذلك كله ، كتبوا به الي الخليفة[2] فسير «سعد بن ابي وقاص»[3] لعله يستطيع ان يصلح بين المصريين ويصل إلي حل في المسألة فلما بلغ «محمد بن ابي حذيفة» مسير «سعد بن ابي وقاص» من قبل الخليفة الي «مصر»، قام في جماعات المصريين خطيبا، قائلا : (ألا إن الكذا والكذا ، يريد نعت الخليفة بمزموم الصفات ، قد بعث اليكم «سعد بن مالك» ليفل جماعتكم ويشتت كلمتكم ويوقع التجادل بينكم ، فانفروا اليه فخرج منهم مائة أو نحوها ، وقد ضرب فسطاطه وهو قائلا : فقلبوا عليه فسطاطه ، وشجوه ، وسبوه، فركب راحلته وعاد راجعاً

(١) ابن عمرو بن ربيعه القرشي العامري من بني عامر بن لؤي : ذكر بعض علماء الرجال أنه رأي «النبي محمد» صلي الله عليه وسلم ، شهد فتح «مصر» وتولي القضاء بها ، ثم الشرطة «لمسلمة بن مخلد» وابن الاثير : أسد الغابة : حـ ٢ / ١٨٦.

(٢) المقريزي : الخطط / حـ ٢ / ٣٣٥.

(٣) بن مالك اسلم بعد سنة من البعثة وقيل بعد أربعة منها ، فكان عمره إذ ذاك سبع عشرة سنة ، شهد المشاهد كلها مع النبي ، أول من أرق دماً في الاسلام، من العشرة المبشرين بالجنة ، وهو من أهل الشوري الذي عينهم عمر، إعتزل الفتنة بين علي ومعاوية، توفي سنة خمسة وخمسين من الهجرة.
- ابن الأثير : أسد الغابة / حـ ٢ / ٢٣٢ : ٢٣٥.

من حيث جاء، وهو يقول : ضربكم الله بالذل ، والفرقة ، وشتت أمركم ، وجعل بأسكم بينكم ، ولا أرضاكم بأمير ، ولا أرضاه عنكم .

وأقبل «عبدالله بن سعد» حتي بلغ جسر القلزم ، فإذا بخيل «لابن ابي حذيفة» فمنعوه ان يدخل ، فقال : ويلكم ، دعوني أدخل علي جندي ، فأعلمهم بما جئت به ، فإني قد جئتهم بخبر فأبوا أن يدعوه ، فقال : والله لوددت أني دخلت عليهم وأعلمتهم بما جئت به[1]، فانصرف الي عسقلان[2]، فمات بها في سنة ست وثلاثين من الهجرة[3].

وهكذا نري مصر تعيش دن عامل شرعي يسير الأمور بها ، وأن نجم المتمردين علي الخليفة بأرضها قد زاد صعوداً ، الأمر الذي كثر من أتباع السبائيين بالبلاد .

ورأي «ابن حذيفة» أمانيه التي راودته منه دانية، وحتي يترجمها الي

---

(١) الكندي : الولاة والقضاء / ٣٩/٤٠ - المقريزي : الخطط / حـ ٢ / ٣٣٥
- سيده اسماعيل الكاشف: مصر في فجر الاسلام / ١١٨، ١١٩.

(٢) بفتح أوله وسكون ثانيه ، ثم قاف وأخره نون ، مدينة تعرف قديما بعروس الشام، بلده تاريخية بفلسطين تطل علي ساحل البحر بين غزة جنوبا ، ويافا شمالا ، وتبعد عن هذه الأخيرة بنحو ٥٠ كم ، وهي اليوم شبه مهجورة ، تقع الي شمال ميناء أشدوا والي شرقها بلده المجدل، واعتبرت احد ابواب مصر الشرقية فمن ثم كانت اهميتها الاستراتيجية.
- ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع / حـ ٢ / ٩٤٠ - أحمد عطيه الله : القاموس الاسلامي / حـ ٥ / ٣٨٣.

(٣) ابن حجر : الاصابة / حـ ٢ / ٣١٧.

واقع ملموس للعيان ، امر بتسيير جماعات المصرين من حاضرتها ليبعث بها الي المدينة المنورة ، وجعل علي رأس رجال خالطة المبادئ السبائية دمائهم ، بحيث كانت تجري في عروقهم مجري الدم في الأجساد ، ومن هؤلاء كنانة بن بشر التجيبي»، و «عروة بن سليم الليثي» و «أبو عمرو بن بديل» فسار الرجال المصون علي رأس هذا الجيش من «مصر» ، و «محمد بن ابي حذيفة» يشيعهم[١] ويقول أقوالا تحمسهم علي انجاز المهمة التي أشخصهم من أجلها الي المدينة وهي تأليب الناس بها علي «عثمان».

حتي يعزل عنهم عامله بمصر «ابن ابي السرح».

وحتي يضمن «ابن ابي حذيفة» نجاح المهمة في امدينة المنورة أرسل كتباً إلي أتباع السبأية في البصرة ، والكوفة ليجتمعوا معهم عند المدينة في موعد ضربوه لذلك ، فلما كثر الجمع لدي «عثمان بن عفان» بالمدينة ، حاور الخليفة الثوار وفند الأقوال التي روج لها المغرضون للنيل من دين الخليفة وعدالته[٢].

ولسنا هنا بصدد الحديث التفصيلي عن أحداث الثورة علي «عثمان»، وتحليل الروايات، التي جاءت في مصادر التاريخ الاسلامي عن هذا الحدث الجلل، لأن ذلك يخرجنا عن دراستنا التي خصصناها لولاة مصر في عهدي

(١) الكندي : الولاه والقضاه / ٤٠، ٤١، - ابن كثير : البداية والنهاية / حـ ٧ / ١٧٠، ١٧١ - المقريزي : الخطط / ٣٣٥.

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك / حـ ٤ / ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٥، ٣٥٦ - ابن الجوزي : المنتظم / حـ ٥ / ٥٠، ٥١.

الراشدين والسفيانيين[1]، إنما الذي نود ذكره هنا أن هذه الثورة علي الخليفة انتهت مرحلتها الأولي، بإزهاق روح «عثمان» رضوان الله عليه ، وهو يقرأ القرآن في ذي الحجة في سنة خمس وثلاثين هجرية[2].

ولقد كان لهذه النهاية الأليمة صدي عظيم علي أحوال المصريين في بلادهم إذ إنقسم القاطنون في أرضها إلي شيع تباينت أهواؤها وتضاربت غاياتها فخرجت جماعة منهم تريد نيل وتر «عثمان» من المصريين الذين خرجوا من البلاد ، وتحلقوا بيت الخليفة فقتلوه، وكان علي رأس المطالبين بثأر «عثمان» «معاوية بن حديج» و «يحيي بن يعمر الرعنبي»، وآخرون آذرت «محمد بن ابي حذيفة» فطفقت تشد من أزره وتدعو الناس بالانصياع لأمره، حين عد نفسه صاحب حول وطل في البلاد واهتبل فترة الفراغ السياسي الذي عاشته الدولة الاسلامية لفترة وجيزة ، مرت علي الرعية بين مقتل «عثمان» وإرسال «علي» العمال الي الأقاليم .

وفرقة ثالثة وقفت موقف المترقب لما ستسفر عنه الأحداث بين سالفتي الذكر مؤثرة السلامة علي ما عداها .

---

(١) تناولنا الثورة علي عثمان بتفصيلها الدقيق مرجحين رواية علي أخري في مصادر التاريخ الاسلامي ورأي علي آخر من آراء الباحثين المحدثين في كتاب نور اليقين ، في تاريخ الراشدين حـ ١ / ١٩٨٨، من ص ١٣٨ : ١٨١.

(٢) خليفة بن خياط : التاريخ / ١٧٦ - الطبري : تاريخ الرسل والملوك / حـ ٤ / ٤٢٤ .

ابن الاثير : الكامل / حـ ٣ / ١٧٩ ، - ابن تغري بدري : النجوم الزاهرة / حـ ١ / ٩٢، ٩٤.

فكان من الطباعي إذن أن ينشب علي أرض مصر الصراع بين أتباع «معاوية بن حديج» و «محمد بن ابي حذيفة» فحين علم الأخير بخروج الأول الي الصعيد، فبعث اليهم خيلاً، فالتقوا «ببدقناش» من كوره البهنسا[1] فهزم أصحاب «ابن ابي حذيفة» ومضي «معاوية بن حديج» حتي بلغ برقه[2] ثم رجع الي الاسكندرية.

ثم إن «ابن ابي حذيفة» أمر بجيش آخر، جعل عليه «قيس بن خرمل اللخمي» وفيهم ابن «جيشما البلوي» فاقتتلوا بخربتا[3] أول يوم من شهر رمضان سنة ست وثلاثين فقتل قيس بن حرمل و «ابن جشما» وأصحابهما[4].

---

(١) بالفتح ثم السكون وسين مهملة مقصورة : مدينة بمصر من الصعيد الأدني غربي النيل واليها كورة كبيرة - ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع / حـ ١ / ٢٣٥.

(٢) بفتح أوله والقاف : اسم صقع كبير يشتمل علي مدن وقري بين الاسكندرية ، وأفريقيا كانت القاعدة التي إنطلقت منها الحركة السانوسية في التاريخ الحديث .

- ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع / حـ ١ ، ١٨٦ / ١٩٧.

- احمد عطيه الله : القاموس الاسلامي / حـ ١ / ٣٠٢ ، ٣٠٣.

(٣) قرية من قري مصر علي مقربة من الاسكندرية

- ابن عبدالحق : مراصد الاطلاع / حـ ١ / ٤٥٧.

ولم يكن «معاوية بن ابي سفيان» المتحصن ببلاد الشام ، ليغيب عنه هذا الصراع الدائر علي أرض مصر ، بين أتباع «ابن ابي حذيفة» و «ابن حديج» إذ هو من أوائل الذين نادوا بأخذ ثأر عثمان من قاتليه ، ولعله كان يمد أتباع «ابن حديج» في مصر بالأموال ، حتي تقوي حركاتهم وتستطيع مجابهة «ابن ابي حذيفة».

فتوجه من بلاد الشام إلي مصر ، فنزل سلمنت من كورة عين شمس، في شوال سنة ست وثلاثين ، فخرج اليه ابن ابي حذيفة وأهل مصر ، ليمنعوا «معاوية» وأصحابه أن يدخلوها ، فبعث اليه «معاوية» : إنا لا نريد قتال أحد، إنما جئنا نسأل القود بدم عثمان ، إدفعوا الينا قاتليه «عبدالرحمن بن عديس» و «كنانه بن بشر» وهما رأسا القوم، فامتنع «أبي حذيفة» فقال معاوية بن ابي سفيان له اجعل بيننا وبينكم رهنا فلا يكون بيننا وبينكم حرب فاستخلف «ابن ابي حذيفة» علي «مصر» «الحكم بن الصلت بن مخرمه بن المطلب بن عبد مناف»، وخرج في الرهت هو «وابن عديس وكنانة بن بشر» ، «وأبو شمر بن أبرهة »، وغيرهم من قتلة عثمان فلما بلغوا لدُ سجنهم «معاوية» بها وسار إلي دمشق فهربوا من السجن الا «أبا شمر» فقال : لا أدخله أسيراً وأخرج منه أبقاً ، وتبعهم صاحب فلسطين فقتلهم[1] جميعا[2].

---

(١) ذكر ابن حجر في الاصابة حـ ٢ / ٤١١ رواية فيها ان عبدالرحمن بن عديس لما فر من السجن لاحقه رجل من الفرس ليقتله فقال له عبدالرحمن (اتق الله في دمي فاني بايعت النبي صلي الله عليه وسلم تحت الشجرة فقال له الشجر كثير وقتله).

(٢) الكندري : الولاة والقضاة / ٤٣ - المقريزي : الخطط / حـ ٢ / ٣٣٦.

- ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة حـ ١ / ٩٤، محمد حلمي: الخلافة والدولة / ٨٣.

وهكذا نري «محمداً بن أبي حذيفة» تقوده أطماعه في تولي الولاية إلي التهلكة فلم يجني ثمرة ما فعله في سبيل تحقيق غاية ، وأن عاقبة ماكاد به «لابن ابي السرح» - وهو علي مصر - قد عادت عليه بالنكال.

فمات قتيلاً طريداً ، بعد ما أسهم ومن معه من الثائرين في فتح ابواب فتن متلاحقة علي المسلمين، ما تزال بعض آثارها ماثله للعيان الي وقتنا الحاضر ، كما أن النهاية التي إنتهت بها ولاية «ابن ابي السرح« علي «مصر» ، لا يتفق وما قام به علي أرضها ، وتخوم حدودها من أعمال ، نراها في وقتها ضرورة لازمة لتأمين البلاد ، والعناية بالمنشآت ، ولم يكن في الرجل ما يشنيه ، حتي يفعل الثائرون به ما فعلوا ، وإن كان هناك من مآخذ نأخذها عليه ، فهو انه أعلا طموحاته ، التي أراد بها تحقيق مزيد من الفتوحات للمسلمين علي ما عداها ، وحسب الرجل أن يخرج من الولاية ، وقد ذكر له التاريخ جهاده في أفريقيا ، وتلقين الروم درسا قاسيا في موقعة ذات الصواري.

وبهذا تدخل مصر تحت حكم الخليفة الثالث «علي بن ابي طالب» - كرم الله وجهه - فتؤثر في الأحداث وتتأثر بها .

وما ذلك إلا لموقعها الاستراتيجي بالنسبة لبلاد الشام والحجاز.

ولاية قيس بن سعد علي مصر (الظروف التي لابثت ولايته)

لما فرغ المسلمون بالمدينة من البيعة لعلي، في ظل ظروف عصيبة ألمت بالجميع ، وبعد قتل «عثمان»، طفق «علي» يقلب الرأي فيما يفعله مع عمال «عثمان ابن عفان» ، بعدما آل أمر الأمة إليه ، أيبقيهم في أعمالهم حتي يستفيد من رأيهم ؟ ويحصل علي البيعة من أقاليمهم؟

أم يعمد إلي عزلهم ليطبق سياسته، ويكبح جماح حركات المعارضة التي روجت أخطاء عنهم ، فيها من الصدق والكذب ما عم الأمور علي المراقبين؟ فاختلط الحابل بالنابل.

فاستدني عليّ «المغيرة بن شعبة» إليه، واستنصحه الرأي في عمال عثمان ، فقال المغيرة لعلي : (إن لك حق الطاعة والنصيحة، وأنت بقية الناس ، وإن الرأي اليوم تحرز به ما في غد، وإن الضياع اليوم يضيع به مافي غد، أقرر «معاوية» وابن «عامر» وعمال «عثمان» علي أعمالهم، حتي تأتيك بيعتهم ، ويسكت الناس ، ثم اعزل من شئت ، فأبي «علي» وقال : لا أداهن في ديني، ولا أعطي الدنيا في أمري ، قال المغيرة : فإن كنت أبيت علي فانتزع من شئت ، واترك «معاوية» فإن فيه جرأة ، وهو في أهل الشام يستمع منه ، ولك حجة في إثباته، كان «عمر بن الخطاب» قد ولاه الشام ، فقال «علي» : لا والله لا استعمل «معاوية» يومين ! ثم انصرف من عندي وأنا أعرف فيه أنه يود أني مخطئ، ثم عاد إلي الآن

فقال: إني أشرت عليك أول مرة بالذمي أشرت وخالفتني فيه ، ثم رأيت بعد ذلك أن تصنع الذي رأيت فتعزلهم وتستعين بمن تثق به ، فد كفي الله وهم أهون شوكة مما كان)(١)

بيد أن «علي» بعد حوار المغيرة معه ، أبي إلا أن يعزل عمال عثمان ، ويبعث غيرهم الي الأمصار فكان صاحبنا «قيس بن سعد» أول والي له علي مصر.

يحسن بنا قبل المضي في ذكر ما كان من أمر الوالي علي مصر ان نقدم بين يدي ذلك بكلمة نلمع فيها إلي نشأة الرجل ، وبواكير حياته الأول في زمن النبي ، ثم الصديق والفاروق.

فيقول هو : «قيس بن سعد بن عبادة بن وليم بن حارثة بن خزيمة بن ثعلبة ابن طريق بن الخزرج بن ساعدة».

صاحب رسول الله صلوات ربي وسلامه عليه - عشر سنوات ، وقد ولاه رسول الله صلي الله عليه وسلم جباية صدقات بعض البلاد ، وكان من النبي محمد بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير.

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك / حـ ٤ / ٤٣٨ - ٤٣٩ - ابن الاثير : الكامل / حـ ٣ / ١٩٧

ابن دقماق : الجوهر الثمين / حـ ١ / ٦١ - محمد حلمي الخلافة والدوله / ٨٠ / ٨١ .

أشخصه النبي محمد صلي الله عليه وسلم علي رأس سرية من الأنصار والمهاجرين لقتال المشركين ، فلما بلغ الجوع بالجند مبلغا كبيراً ، واستدان «قيس» من أعرابي في الطريق لينحر للجند خمسة من الإبل، وكانت له صحفة تدور معه حيث يدور، له منادي ينادي في الناس من يرد لحماً أو شحاً فليأت قيس.

وعدّه كثير ممن لهم علم بتاريخ الرجال واحدا من ثلاثة[1] يضرب بهم المثل بين العرب في الكرم ، فكان قيس في ذلك علي غرار أبيه[2] وحرص سعد بن عباده كلما واتته فرصة أن يعلي من مكانة والديه بين صحابة النبي محمد ﷺ .

فيذكر الذهبي أن قيس وهو في سرية بعثها النبي الي جهنية أنفق مالا كثيراً، في رجال يحتاجون إليه ، حتي أن« أبا بكر» و «عمر» دهشا من فعله، واشفقا علي مال أبيه من تصرفاته .

فلما عاد المسلمون الي المدينة ، وأخبروا «سعداً » بما فعله، «قيس» لم ينكر علي ولده ما فعل بل قال : في حضرة النبي والمسلمين (من يعذرني من ابن قحافه وابن الخطاب يبخلان علي ابني)[3].

(١) عرابة بن علي، بن عبد الله بن جعفر ابن ابي طالب - صاحبنا الذي سنتحدث عنه.

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية / حـ ٨ / ٩٩، ١٠١ - الذهبي : سير اعلام النبلاء/ حـ ٣ ١٠٢ ، ١٠٣.

(٣) الذهبي : سير إعلام النبلاء / حـ ٣ / ١٠٦ - ابن ثغري بردي / النجوم الزاهرة حـ ١ ٩٥ / ٩٦ .

ولا مراء من أن قيساً كات له بصمات بارزة ، وأعمال رائعة ، في ميادين الفتوح الإسلامية ، خلال مدة حكم الخليفتين «الصديق» ثم «الفاروق» ، فشارك «قيس» في فتح «مصر» واختطط بها الأبنية .

مما تقدم يستطيع المرء الوقوف في جلاء علي سياسة «علي بن ابي طالب» في اختيار ولاته علي الأمصار .

تلك السياسة التي تقوم في لحمتها وسداها علي عدم المهادنة في حق مهما كانت المحاذير وأخذ الناس بالشدة فيه .

وألا يدع مجالاً لظالم يتولي أمراً في دولته ، كي لا يسوم الناس سوء العذاب .

وبالجملة فهي سياسة عمرية ، بما تعنيه الكلمة من مفاهيم يعرفها دارس التاريخ، عن سياسة الفاروق في الامة بعدما صارت الخلافة اليه جاء «قيس بن سعد» إلي «مصر» وهو يحمل عهد أمير المؤمنين «علي بن ابي طالب» بولايتها، وهو لا يداخله شك في عظم الصعاب، التي سيكون عليه مواجهتها وهو يسوس أهلها ، إذ هي قريبة من الشام ومن أرضها انتقل الجم الغفير من الثوار الذين قتلوا «عثمان» ، ومن ناحية ثالثة هذا الانقسام الذي كان بين قاطنيها ، ممن تشيعوا «لعثمان»، وأولئك الذين آزروا علياً، فآمنوا بسياسته .

فلما وصل «قيس» إلي «آيلة»[1]، وجد خيول المصريين عندها ، فسألوه ، من أنت؟ قال : «من قالة «عثمان»، فأنا أطلب من آوي اليه وانتصر به ، قالوا : من أنت)

قال : «قيس بن سعد»، قالوا : امض، فمضي حتي دخل «مصر» في ربيع الأول سنة سبع وثلاثين هجرية [2]

لم تكد تمضي علي الوالي «بمصر» سوي عشية أو ضحاها حتي صار عليه التعامل بحنكة، وحكمه ، مع رعيته الذين ساد فيهم الانقسام ، وشغلهم حديث قتل «عثمان» عن كل ما عداه ، واضعا في إعتباره وصية علي له قبل قدومه إلي «مصر» بأن (يحسن الي المحسن، ويشتد علي المريب، ويرفق بالعامة والخاصة)[3]، فرأي «قيس بن سعد» أن يتألف العثمانية الذين يريدون نيل وتر «عثمان» من قاتليه علي الفور، فأحسن لهم ، وتودد إليهم ، ومنحهم أعطياتهم .

وعقد معهم إتفاقاً، علي ألا يعرض لهم وهم «بخربتا» بسوء، ولا يصيبهم منهم مكروه،[4]

(١) بالفتح : مدينة علي سالح بحر القلزم مما مما يلي الشام
ابن عبدالحق : مراصد الاطلاع / حـ ١ / ١٣٨.

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك / حـ ٤ / ٤٤٢ - البلخي : البدء والتاريخ حـ ٥ / ٢١٦ - ابن كثير : البداية والنهاية حـ ٧ / ٢٢٨ ، ٢٢٩، محمود شاكر : التاريخ الاسلامي حـ ٤ / ٩٢.

(٣) ابن الجوزي : المنتظم : حـ ٥ / ٥٧.

(٤) النويري : نهاية الأرب / حـ ١٩ / ١٩٢.

ولنا أن نتساءل عما إذا كان قيس أصاب في سياسته مع العثمانية في مصر أم لا؟

والجواب : عندي إن الحق حالف «قيساً» في سياسته ، فإنه حين جاء «مصر» دخلها ، وهو يعرف عن خليفته ما لا يعرفه الآخرون ، فأصحاب الجمل خرجوا عليه ، و «معاوية» يتأهب في بلاد «الشام» لحربه ، وقاطني «مصر» يأكلهم الانقسام بسبب مقتل «عثمان» ، فكان علي الوالي أن يبدأ عهده بالبلاد ، سالكاً سياسة التهدئة في رعيته حتي يري ما يكون من أمر الإمام علي في ظل المحاذير التي سلفنا ذكرها، يتعامل بعد ذلك مع الرعية علي بينه من أمره.

ولعله استطاع بسياسة التهدئة ، تألف العثمانية إليه ، وإعادة الوحدة للجبهة الداخلية في عمله .

ولأن «معاوية» خبر «قيس بن سعد» قبل ولايته علي «مصر» ويعرف عن مهارته وكياسته الكثير، فقد خشي علي وجوده في بلاد «الشام»، إن إستمر «قيس بن سعد» علي «مصر» يسوس أهلها بتفويض من «علي»، فلو نجح «قيس» في القيام بأمور ولايته ، لكان ذلك يعني وفرة الامدادات لعلي من الرجال والاموال التي تأتيه من «مصر» ، فيستطيع بها التصدي لآمال «معاوية» في بلاد «الشام»، تلك الآمال التي أخذت في التزايد علي مرور الأيام ، بعد الذي كان من أمر «عثمان بن عفان» رضوان الله عليه .

ومن ثم فإن «معاوية» أزمع علي تسخير كل إمكانياته الفكرية المالية في صراع حكمه الدهاء بينه وبين «قيس بن سعد» .

الصراع بين معاوية وقيس بن سعد

إن من يقرأ مصادر التاريخ الاسلامي ، خلال الحقبة التي نتناولها بالدراسة ، يمكنه الوقوف علي معالم الصراع بين الرجلين من خلال استقراء جيد للرسائل المتبادلة بينهما .

ذلك أن «معاوية» بدأها بسياسة الاغراء ، والوعد، وبذل الأماني، اعتقادا منه ان ذلك كفيل باسالة لعاب «قيس بن سعد»، وقد وهم في إعتقاده هذا فإن ما أشرنا اليه من سمات بارزه في بواكير حياة الوالي، يجعل مثل ذلك الاعتقاد سرابا، وإن شئت فقال أضغاث أحلام وكان «قيس بن سعد» هو الآخر يعلم عن معاوية الدهاء، ويريد ان يجنب نفسه مجابهة ما أغناه عنها ، ولو مؤقتا ، حتي يرتب الإمام الدولة ، ويتألف «قيس» رعيته «بمصر» .

ومن ثم فإنه ضمن رسائله ألفاظاً، لا تحمل إلا الملاينة والمهادنة ، فلا هو بالذي يرفض الإغراء ، والتعاون مع «معاوية»، ولا هو بالذي يقبله، إلي أن أوقف كلاهما أخاه علي حقيقة سياسته ازاء الآخر .

وحتي نكون علي بينه من أمر تلك المعالم ، يحسن بنا ذكر الرسائل المتبادله بين «قيس» و«معاوية» خلال ولاية الاول علي مصر، فقد كتب «معاوية» إلي «قيس» برسائل جاء في إحداها .

(سلام عليكم ، أما بعد فإنكم نقمتم علي «عثمان» ضربه بسوطه أو شتمه لرجل او تسير آخر، او استعمال فتن ، وقد علمتم ان دمه لايحل لكم

فقد ركبتم عظيما وجئتم أمرا إذا، فتب إلي الله يا «قيس»، فإنك من المجلبين علي «عثمان» ، فأما صاحبك ، فإذا استيقنا انه أغري به الناس، وحملهم حتي قتلوه وأنه لم يسلم من دمه عظم قومك ، فإن استطعت يا «قيس» أن تكون ممن يطلب بدم «عثمان» فافعل ، فتابعنا علي أمرنا، ولك سلطان العراقيين إذا ظهرت ما بقيت ، ولمن أحببت من أهلك سلطان الحجاز، ما دام لي سلطان ، وسلني ما شئت فإني أعطيكه ، واكتب الي برأيك .

وكان رد «قيس بن سعد» عليها يحمل نفي ما اتهمه وعشيرته به «معاوية بن ابي سفيان» المشاركة في دم «عثمان» فقال :

(أما بعد ، فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرته فيه ، فأما ما ذكرت، قتل عثمان ، فذلك شيء لم أقارفه، وذكرت أن صاحبي هو الذي أغري به حتي قتلوه فهذا ما لم أطلع عليه ، وذكرت إن عظم عشيرتي لم تسلم (من دم عثمان) فأول الناس كان فيها قياما عشيرتي، وأما ما عرضته من متابعتك فهذا أمر لي فيه نظر وفكرة ، وليس هذا مما يسرع إليه وأنا كاف عنك وليس يأتيك من قبلي ما تكرهه حتي تري ونري إن شاء الله تعالي».

أما الرسالة الثانية فإنها تمثل مرحلة المصارحة والمكاشفة وفيها ذكر «معاوية» «لقيس بن سعد» أن رده علي رسالته الأولي لم يكن لينطلي علي رجل مثله فإذا كان «معاوية» قد وعد قيس ومناه فإن هذا لم يكن عن ضعف بل كان عن قوة وهدده بخيل يبعث بها اليه من الشام تخرجه من

«مصر» وتجعل البلاد خاضعة له فقال (فقد قرأت كتابك فلم أرك تدنو فأعدك سلما، ولا تتباعد فأعدك حربا وليس مثلي يصانع المخادع وينخدع للمكايد ومعه عدد الرجال وأعنة الخيل والسلام .

ولم يكن رد «قيس بن سعد» بالرد الذي يخشي معه الوالي قوة «معاوية» فذكر له أنه لا يخشي خيله ولا دهاءه ، وأنه سيشغله بنفسه عن كل ما عداه من أطماع وأماني راودته دون أن يكون له حق فيها ، فهو ليس علي قدم المساواة بعلي حتي يفكر في نبذ طاعة أمير المؤمنين ، والدخول في أمرة (أتسومني الخروج من طاعة أولي الناس بالإمارة ، أقوالهم بالحق، وأهداهم سبيلا، وأقربهم من رسول الله صلي الله عليه وسلم وسيلة ، وتأمرني بالدخول في طاعتك، وطاعة أبعد الناس من هذا الأمر، وأقوالهم بالزور،وأضلهم سبيلاً، ولد ضالين مضلين، طاغوت من طواغيت ابليس، وأما قولك : إني مالىء عليك مصر خيلا ورجالاً فوالله إن لم أشغلك بنفسك حتي تكون أهم اليك إنك لذوي وجد والسلام)[1]

لم ييأس «معاوية« من الاخفاق الذي الم بمسعاه من «قيس بن سعد» فصمم علي حرمان «علي بن ابي طالب» منه لما له من كفاءة في القيادة وحسن رأي .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية / حـ ٧ / ٢٥٢ - النويري : نهاية الأرب حـ / ٢٠/ ١٩٤، ١٩٥.
ابي تغري بردي : النجوم الزاهره حـ ١ / ٩٧ : ١٠١.

ومن ثم يذكر لنا الرواة حيلة تفتق عنها ذهن «معاوية»، للإيقاع بين «علي» وعامله علي «مصر» «قيس بن سعد» وان اختلفوا في الطريقة التي وقف من خلالها عليّ علي تلك الحيلة .

فتذكر الرواية الأولي أن «معاوية بن ابي سفيان» كتب الي بعض أموي المدينة كتباً، ذكر لهم فيها ان «قيس بن سعد» قد غدا من شيعته، يعمل بأمره، ويدير الأمور في «مصر»، برأي «معاوية»، وطالبهم ألا يشيعوا ذلك عن «قيس» بين المدنين كي لا يعزله علي [1].

أما الرواية الثانية : فتقول إن «معاوية» رقي مراقي منبره في «الشام»، فقال لأهلها : لا تسبوا «قيساً» ولا تدعوا الي غزوه، فإن «قيساً» لنا شيعة ، تأتينا كتبه ونصيحته سراً ، ألا ترون ماذا يفعل باخوانكم النازلين عنده «بخربتا» يجري عليهم أعطياتهم وأرزاقهم، ويؤمن سربهم ، ويحسن الي كل راكب يأتيه منهم .

وكتب «معاوية» بمثل ذلك الي شيعة الأمويين بالعراق، فوقف علي علي الخبر من خلال عيون له .

فكتب الي عامله بمصر «قيس بن سعد» يأمره بقتال أهل «خربتا»، وهم يومئذ عشرة آلاف فأبي «قيس» أن يقاتلهم ، وكتب الي «علي» رضي الله عنه أنهم وجوه أهل مصر، وأشرافهم، وأهل الحفاظ منهم، وقد رضوا

(١) البلخي : البدء والتاريخ حـ ٥ / ٢٢٦ - المقريزي / المخطط حـ ٢ / ٣٣٦.

مني بأن أؤمن سربهم وأجري عليهم أعطياتهم وأرزاقهم، وقد علمت أن هواهم مع «معاوية» فلست بكاؤهم بأمر أهون علي وعليك من الذي أفعل بهم، وهم أسود العرب منهم"بسر بن أرطاة"، و«مسلمة بن مخلد»، و«معاوية بن خديج» ، فأبي عليه إلا قتالهم فأبي «قيس» أن يقاتلهم، وكتب إلي علي - رضي الله عنه إن كنت تتهمني فاعزلني[1].

وهكذا نري حيلة «معاوية» قد آتت ثمارها التي يرجوها .

فالأمام «علي» قد ارتاب في أمر عامله بمصر «قيس بن سعد» حين علم بما علم عنه ، ولأن جماعة من معسكر أمير المؤمنين ، مثل «محمد بن ابي بكر» و«عبد الله بن أبي جعفر» [2] وغيرهما لا يريدون «قيساً» علي «مصر»، فقد عزوا الشعور بالشك في نفس أمير المؤمنين، فوجد علي عامل وهو الذي كان يقول عندما سمع ما أشاعه أتباع «معاوية» عن «قيس» من الممالأة (ويحكم انه لم يفعل)[3].

---

(١) الكندي : ولاه مصر / ٤٥

- ابن لجوزي : المنتظم / حـ ٥ / ٩٩

المقريزي : الخطط / حـ ٢ / ٣٣٦

- محمود شاكر : التاريخ الاسلامي حـ ٤ / ٨٥.

(٢) أمه أسماء بنت عميس ولد بأرض الحبشة فكان اول مولود مسلم علي ارضها مسح النبي علي رأسه ودعا له وقف محاربا لمعاوية مع علي بن ابي طالب في صفين توفي سنة ثمانين الهجرة علي أرجع الروايات وقيل بعد ذلك بخمس سنوات وصلي عليه ابان بن عثمان بالمدينة من قبل عبد الملك عن عمر بلغ تسعين سن ابن الأثير : أسد الغابة حـ ٣ / ٩٣ : ٩٥.

- ابن حجر : الاصابة حـ ٢ / ٢٨٩ - ٢٩٠.

(٣) المقريزي : الخطط حـ ٢ / ٣٣٦.

وعلي كل حال ، فإن رأي «علي» قد استقر علي عزل «قيس» عن «مصر» بعد ولاية استمرت سنة وبضعة أشهر(١).

ومن الطباعي الا تسمح هذه المدة الوجيزة التي قضاها الوالي في عمله له بابراز مهارته في إدارة البلاد، فقد قضاها كلها في جهاده «لمعاوية» ومحاولة تسيس الرعية بشكل يحفظ لمصر وحدتها(٢).

بيد أن مثل هذا الرجل لايجد حظه في معسكر مزقه العصيان ، للآراء المتعددة التي كان يشهدها جيش أمير المؤمنين كلما جد أمر من قبل أعداء علي يحتاج إلي قرار من الخليفة .

ولا يستطيع الباحث المنصف وهو يتناول قضية عزل «قيس» عن

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها / ٢٧٤.
- ابن الجوزي : المنتظم حـ ٥ / ١٤٩.
(٢) ذكر المؤرخون ان «قيس بن سعد» صار الي المدينة بعد عزله عن «مصر» فلم يقم بها الا يسيرا ثم غادرها الي حيث يوجد «علي بن ابي طالب» وجيشه فانضم اليه وأظهر بساله في قتال «معاوية» جعلت «علي» يندم علي عزله عن «مصر» وان الرجل استمر علي وفائه لامامه بعد قتل أمير المؤمنين علي يد أحد الخوارج ولم يدخل في طاعة «معاوية» الا بعد الذي كان من «الحسن بن علي» معه في عام الجماعة الأولي توفي سنة تسع وخمسين من الهجرة.
الطبري : تاريخ الرسل والملوك حـ ٤ / ٥٥٥
البلخي : البدء والتاريخ حـ ٥ / ٢٢٥ - ٢٢٦.
ابن الاثير : الكامل : حـ ٣ / ٥٢٥.
محمود شاكر : التاريخ الاسلامي حـ ٤ / ٨٥ .

«مصر» إلا أن يحمل الإمام «عليّ» بعضا من تبعات عزل الوالي عن البلاد في ظل ظروف دقيقة فقد مزقت «مصر» بعده الفتن، وأصبحت مجالاً خصباً لعيون «معاوية» يؤلبون أهلها علي «عليّ» كما سنبينه ، ونحن نتناول ولاية «محمد بن ابي بكر» عليها .

ولاية محمد بن أبي بكر علي مصر

قبل أن نمضي قُدُماً مع «محمد بن أبي بكر» وولايته علي مصر ، يجدر بنا الإشارة إلي أن «علياً بن أبي طالب» كان قد اختار لمصر قبله «مالك بن الأشتر النخاعي» فسيره اليها .

وهنا نجد الرواه يتفقون علي أن الوالي لم يبلغ حاضره ولايته ، فقد مات بعدما دس عليه «معاوية» من وضع له السم في العسل، فأماته قبل أن يستوي علي أريكة الحكم «بمصر» .

علي أن الرواة اختلفوا حول الرجل الذي كلفه «معاوية» بتلك المهمة، والمكان الذي وافي فيه مالك أجله ، فإن «إبن الأثير» و «الكندي» كليهما يذكراني ان «معاوية» لما علم ان علياً إختار «ابن الاشتر» عاملاً له علي «مصر»، فزع من ذلك لأنه يعلم ان هذا الوالي لو قدمها لكان أشد عليه من آخرين يختارهم «عليّ»، فبعث «معاوية» إلي المقدم علي أهل الخراج بالقلزم ، وقال له: إن «الأشتر» قد ولي «مصر»، فإن كفيتينية لم آخذ منك خراجاً ما بقيت وبقيت ، فخرج الحابسات حتي أتي «القلزم »، واقام به، وخرج «الأشتر» من «العراق» إلي «مصر» فلما انتهي الي القلزم

ذلك الرجل، فعرض عليه النزول، فنزل عنده فأتاه بطعام : فلما أكل أتاه بشربة من عسل قد جعل فيه سماً فسقاه إياه ، فلما شربه مات .

وأقبل «معاوية» يقول لأهل الشام : إن علياً قد وجه «الاشتر» الي «مصر» فادعوا الله عليه فكانوا يدعون الله عليه كل يوم ، وأقبل الذي سقاه الي «معاوية» فأخبره بهلك «الأشتر» فقام «معاوية» خطيباً ثم قال أما بعد فإنه كانت «لعلي» بميتات فقطعت إحداهما بصفين، يعني «عمار بن يسار»[1] وقطعت الأخري اليوم ، يعني «الأشتر»[2].

فإذا كان ابن الأثير قد ذكر موت «مالك بن الأشتر» عند «القلزم» علي يدي عامل الخراج «بالعريش»، فان غيره قال : إنه لما سار «الأشتر» إلي «مصر» ، سلك طريق «الحجاز» فقدم المدينة ، فجاءه مولي «عمر بن الخطاب» فأدناه« الأشتر»، وقربه ووثق به ، وولاه أمره فلم يزل معه الي «عين شمس»، فلما وصل إلي «عين شمس» تلقاه أهل «مصر» بالهدايا وأسقاه «نافع» المذكور سلفا العسل فمات منه.[3].

---

(١) ابن كنانه بن قيس بن الحصين من بني ثعلبه بن عوف كان من السابقين الأولين هو وأبوه وكانوا ممن يعذبوا في الله قطعت أذنه يوم اليمامة استعمله عمر علي الكوفي ، توفي سنة سبع وثلاثين عن عمر ثلاث وتسعين .
ابن حجر : الاصابة حـ ٢ / ٥١٢.

(٢) الكندي : ولاة مصر / ٤٨.
ابن الاثير الكامل حـ ٣ / ٣٥٣ - ابن ثعري بردي: النجوم الزاهرة ١٠٤/١٠٣.

(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك حـ ٥ / ٩٤ .
- العقاد : معاوية بن ابي سفيان / ٤٧.

وعلي كل حال فإن موته جعل «عليا» بشخص «محمداً بن ابي بكر» إلي «مصر» وقد كان «قيس بن سعد» ما يزال علي أمرها .

فلما علم بوصول الوالي الجديد لاستلام العمل منه حرص علي ألا يترك البلاد له بعد ان يبثه النصح في كيفية سياسته للرعية بمصر وفاءً منه لإمامة فإن قيس لم يكن بداخله شك في حب «عليّ» له ، وان الذي دفعه لعزله ما دبره «معاوية» من مكر وخديعة في شأنه لدي أمير المؤمنين ، فكان يقول عن «معاوية» (لولا الكذب لمكرت به مكراً يدخل عليه بيته)[1] .

فخلا «قيس بن سعد» «بمحمد بن ابي بكر» وقال له (إنه لا يمنعني نصحي لك ولأمير المؤمنين عزله اياي ، ولقد عزلني من غير وهن ولا عجز، فاحفظ عني ما أوصيك به ، يدم صلاح حالك: ادع «معاوية بن حديج» و«مسلمة بن مخلد»، و«بسر بن أرطاه» ومن ضوي اليهم علي ما هم عليه ، تكفهم عن رأيهم فإن أتوك ولم يفعلوا فاقبلهم وإن تخلفوا عنك فلا تطلبهم ، وانظر لهذا الحي من مضر، فأنت اولي بهم فألن لهم جناحك، وقرب عليهم مكانك، وارفع عنهم حجابك، وانتظر هذا الحي من مدلج فدعهم وما غلبوا عليه ، يكفوا عنك شأنهم ، وأنزل الناس من بعد علي قدر منازلهم وإن إستطعت ان تعود المرضي وتشهد الجنائز، فافعل، فإن هذا لا ينقصك ولن تفعل ، إنك والله ما علمت لتظهر الخبلاء ، وتحب الرياسة وتسارع الي ما هو ساقط عنك والله موفقك[2].

(٢) المقريزي : الخطط حـ ٢ / ٣٣٦.

(١) الكندي : ولاه مصر حـ ٥٠ - ابن الجوزي : النتظم حـ ٥ / ١٤٩.

فأنت تري الوالي المعزول ينصح خليفته بما فيه الخير له ولرعيته بل للخليفة الذي أرسله ليحكم «مصر» نيابة عنه ، لو أن «محمد بن ابي بكر» جعل من تلك النصيحة نهجا له لكان شوكة في ظهر «معاوية»، تجعله يعيد حساباته غير مرة وهو يجابه عليا .

ولو قارنا بين تلك النصائح التي قالها «قيس» لخلفه ، وبين تلك التي وصي بها عليّ محمداً ، في الكتاب الذي أعطاه إياه ، وهو قادم إلي «مصر»، لعلمنا يقينا ان سياسة «قيس بن سعد» في الرعية ، تحظي برضا علي في الأغلب الأعم لأنها السياسة المثلي، التي اذا ما أراد واليا الاستقرار لعمله جعلها نبراسا يضيء له الطريق في حكم الأقاليم .

فها هو «عليّ» ينصح «محمد بن ابي بكر» (باللين علي المسلمين، وبالغلظة علي الظالم ، وبالعفو عن الناس، وبالاحسان ما استطاع والله يجزي المحسنين، ويعذب المجرمين وأمره ان يدعو من قبله إلي الطاعة والجماعة ، فان لهم في ذلك من العافية وعظيم المثوبة ما لا يقدرون قدره ، ولا يعرفون كنهه، وأمره ان يجبي خراج الأرض، علي ما كانت تجبي عليه من قبل ، لا ينقص منه ، ولا يبتدع فيه ، ثم يقسمه بين أهله علي ما كانوا يقسمون عليه من قبل ، وأن يلبث لهم جناحه وأن يواس بينهم في مجلسه ووجهه، وليكن القريب والبعيد في الحق سواء .

وأمره أن يحكم بين الناس بالحق،وان يقوم بالقسط ولا يتبع الهوي، ولا يخاف في الله عز وجل لومة لائم[1].

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك حـ ٤ / ٥٥٦.

وكدأب الولاة الذين يبعثهم الخليفة إلي الأمصار، رقي «محمد بن ابي بكر» مراقي منبر المسجد بالفسطاط، فألقي في المصرين خطبة، بين فيها منهجه في سياسة الرعية، بشكل استبشر المصريون به خيراً.

فإن يكن ما ترون من إمارتي وأعمالي طاعة لله ، فاحمدوا الله علي ما كان من ذلك ، فإنه هو الهادي له ، وإن رأيتم عاملاً لي بغير الحق، فارفعوه الي وعاتبوني فيه ، فإني بذلك أسعد ، وأنتم جديرون .(١)

بيد أن الأماني التي علقها المصريون علي واليهم الجديد غدت سراباً فقد خالف «محمد بن أبي بكر» نصيحة «قيس بن سعد» وأمير المؤمنين ، فتعالي علي المصريين بشكل أغضبهم ، وسعي لمجابهة العثمانية في «مصر»، مما فتح ابواب الفتنة فيها علي مصارعها ، وهيأ السبيل «لمعاوية بن ابي سفيان» كي يتدخل في شئونها .

الصراع علي مصر بين محمد بن أبي بكر ومعاوية بن أبي سفيان

لا نستطيع الزعم أن الصراع بين «محمد بن أبي بكر» و«معاوية» من الامور التي ميزت بها ولاية الاول علي «مصر»، فإن «معاوية بن ابي سفيان» قد سبق له تسير الجيوش، لأخذ البلاد من «محمد بن ابي حذيفة»، كما سلفنا ، إلا أن هذه المحاولة الجديدة التي نتحدث عنها تختلف عن سابقتها، من حيث إن «معاوية بن ابي سفيان» قد هيأ لها أسباب النجاح ،

(١) النويري : نهاية الأرب حـ ٢٠ / ١٩٦.

ليجعل منها بداية النهاية لحكم ولاة عليّ علي «مصر» ، فقد استغل الأخطاء التي وقع فيها «محمد بن أبي بكر» في معالجته أمر العثمانية بعمله من ناحية .

ومن ناحية ثانية ، أفاد من الأنهيار، والاضطراب، اللذين حلا بمعسكر علي ، بعد ما كان من أمر التحكيم ، ووقع الإمام بين شقي رحي، يتمثلان في قوة الشاميين والخوارج المارقين عليه بعد التحكيم .

ولسنا هنا بصدد توضيح تفاصيل كل ذلك إنما الذي يعنينا هو بيان دقائق احداث الصراع بين «معاوية» و«محمد بن ابي بكر» علي أرض «مصر»، وما كان «لعمرو بن العاص» من دور بارز خلاله فنقول : إن «محمدا بن ابي بكر» هو الذي اشعل جذوة الصراع بين العثمانية وبينه حين أرسل إلي «معاويه بن حديج» و«خارجه بن حذاقه» يدعوهما الي بيعته فلم يجيباه، فبعث« بأبي عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي» الي دور العثمانية، فهدمها ، ونهب اموالهم وسجن ذراريهم .

فلما رأي العثمانية ذلك فنصبوا له الحرب، وهموا بالنهوض اليه فلما علم أنه لا قوة له بهم أمسك عنهم ، فصالحهم «محمد» علي ان يسيرهم الي «معاوية» ، فنصب لهم جسرا «بنقيوس»[1] يجوزون عليه، ولا يدخلون الفسطاس ففعلوا ولحقوا «بمعاوية» [2].

---

(١)بلدة بين الفسطاط والاسكندرية – ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع حـ ١٣٨٨/٣.

(٢) الكندي : ولاه مصر / ٥١

ابن كثير : البداية والنهاية حـ ٧ / ٢٥٢

– سيدة الكاشف:مصر في فجر الاسلام / ١٢٦ / ١٢٧.

وهنا نري الوالي يقع في خطأ كبير، فانه أسهم في زيادة قوة «معاوية بن أبي سفيان» عندما ترك شيعة الأمويين «بمصر» يخرجون منها الي بلاد «الشام» .

فلا مراء ان هؤلاء بعد خروجهم يصبحون سيوفاً بتارة، ينقلب بها «معاوية» علي الوالي ومن معه من المصريين المؤيدين لأمير المؤمنين «علي بن ابي طالب» .

ويذكر المؤرخون ان «معاوية بن ابي سفيان» ، أراد ان يفيد من الضعف الذي ظهر به والي «مصر»، وهو يواجه العثمانية ، فانه لم يستطع منازلتهم في ميدان الحرب، وكانوا عشرة آلاف ، فهذا يدل علي قلة ما لديه من العدد والعتاد، مقارنة بما لدي الشاميين ، و«علي» أمير المؤمنين عاجز عن ارسال الامدادات لوليه في «مصر» بعد الذي كان من أمره في صفين .

فاستدعي «عمرو بن العاص»، وشاوره في أمر «مصر»، وكان «عمرو» يتمني تسيير الجيوش قبل ذلك ، في عهد «ابن ابي حذيفة»، للاستيلاء عليها فأمره ان يتوجه بالجيوش الي «مصر»، ومعه العثمانية الذين خرجوا منها لأخذها من «محمد بن أبي بكر» وكان «معاوية» قد مهد لذلك ، بمراسلته كبار أتباع الأمويين بها ، مثل : «معاوية بن حديج» ، و«مسلمة بن مخلد» .

فلما علم «محمد بن ابي بكر» بقدوم «عمرو بن العاص» اليه سير البريد إلي أمير المؤمنين علي أجنحة الطير، يطلب النجدة منه ، ويطلعه علي

حرج موقفه (ان ابن العاص قد نزل اداني ارض «مصر»، واجتمع اليه أهل البلد جلهم ممن كان يري رأيهم ، وقد جاء في جيش لجلب خراب، وقد رأيت ممن قبلي بعض الفشل، فإن كان لك في أرض «مصر» حاجة، فأمدني بالرجال والأموال والسلام عليك .

فلما وقف عليٌّ علي مافي رساله واليه، أجابه عليها بأخري، تحمل بين ألفاظها مظاهر الضعف الذي آل إليه أمر «علي» ، ومدي اليأس الذي تملكه بعدما رآه من رجال العراق، من الاعتراض وعدم الانصياع له (فاصبر لعدوك، وامض علي بصيرتك وقاتلهم علي نيتك وجاهدهم صابرا محتسباً)(١)

وجد «محمد بن ابي بكر» نفسه أمام مواجهة لا طاقة له بها، فإن «عمرو بن العاص» جاء بجيش جرار، بلغ ستة عشر ألفا.

فأخذ «محمد» يعد نفسه ورجاله لنزال غير متكافئ، حيث إن الشاميين والعثمانية الذين جاءوه مدججين بالسلاح.

كانوا علي قناعة من ان عامل «مصر» هو الذي قتل «عثمان بن عفان» ومن ثم فإنهم طردوه عن «مصر»، أو قتلوه ، فذلك أمر يشفي غليلهم، ويثأرون به لخليفة المسلمين ، الذي مات شهيدا علي أيدي المغرضين، وهو يقرأ القرآن الكريم ، أما المصريون الذين اعتمد عليهم

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك حـ ٥ / ١٠١ ، ١٠٢.

(٢) ابن الجوزي : المنظم حـ ٥ / ١٥٠ - ١٥١.

«محمد بن أبي بكر» فإني معظمهم تثاقل عن نصرته ، حيث ندبهم للجهاد فلم يلبي نداء سوي أربعة آلاف رجل جعل نصفهم مع «كنانة بن بشر»، والنصف الآخر معه ، بعد ما وقف فيهم خطيبا ، ليحثهم علي الموت في سبيل الله ، فالشاميون خرجوا علي طاعة أمير المؤمنين فجهادهم واجب علي المسلمين ودرأ للفتنة.

وإنهم ان ماتوا شهداء ، فليس لهم الا الجنة عباد الله فمن أراد الجنة والمغفرة ، فليخرج إلي هؤلاء فليجاهدهم في الله ، وانتدبوا الي هؤلاء القوم وحكم لكم الله مع كنانة بن بشر)[1].

ومما تجدر الاشارة إليه، أن «عمرو بن العاص» بذل جهدا في ان يجعل «محمد بن ابي بكر» يسلم له «مصر»، بدون قتال ، فقدم اللسان علي الحسام

فكتب «عمر» و «معاوية» «لمحمد» رسالتين دعاه فيهما الي الطاعة والدخول في سلطان «معاوية ابن ابي سفيان» وحذره من غائلة استمراره في المكايده وتحصنه بمصر، لان ذلك لن يحول بينهما وبين استئصال شأنه «محم بن ابي بكر» وأتتباعه، أعلماه انه ان ظفر به جعلاه عبرة للمعتبرين، ومثلوا به أبشع تمثيل ، قصاصاً منه لأمير المؤمنين «عثمان بن عفان»[2].

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك حـ ٥ / ١٠٣
- عبدالخالق ابو رابيه : عمر بن العاص / ٣٣٧.
(٢) ابن الجوزي : المنتظم حـ ٥ / ١٥٠ - ١٥١
- ابن كثير: البداية والنهاية حـ ٧ / ٣١٢، ٣١٣.

ولم يكن جواب «محمد» عليهما يدل علي خوف ألم به من «معاوية» ورجاله ، بل كان علي النقيض من ذلك ، فقد أعلمهما انه علي الله معتمد، وعن دينه مدافع .

وأنه يرفض أن يكون «عمرو» له ناصحا، ونعت كل من ملأ «معاوية» من المعربين بأنهم أولياء الشياطين[1]، فلما لم يجد الفريقان مناصا من الحرب، سارا اليها بجيشهما .

فأبدي «كنانه بن بشر» فيها بسالة منقطعة النظير، إذ تمكن ورجاله من رد الكتائب الشامية علي أعقابها غير مره إلي «عمرو بن العاص» الذي كان يحمس جنده علي مواصله قتال المصريين .

ولم يستطع الشاميون النيل من مكان «كنانة بن بشر» الا عندما باغته «معاوية بن حديج السكوني» بكمين اتاه من خلفه، فأصبح كنانه ومن معه بين فكي كماشة ، تتناول سيوف الأمويين أعناق رجاله فسقط منهم المئات بين قتيل وجريح بما فيهم «كنانة بن بشر» بينما لاذت الباقية من جنده بالفرار هائمة علي وجوهها حتي تنجو من قتل محقق .

ولم يكن موقف «محمد بن ابي بكر» ورجاله افضل من موقف قرينيه «كنانة بن بشر» فقد دارت الدائرة علي رجاله ، وهام «محمد» علي وجهه ، فلاذا بمكان «خرب» يلتمس فيه المنعمة من أعدائه ، فكان كمن تمسك بأهداب بيت العنكبوت فالمكان فضاء لا يحجبه فيه حاجب عن أعين

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك حـ ٥ / ١٠٢ ، ١٠٣.

الأعداء. فلما وقف «معاوية» علي مكانه انقض عليه، فاستخرجه، وقد كاد يموت عطشا وأقبلوا به نحو «الفسطاط، فوثب أخوه «عبدالرحمن بن ابي بكر» وكان في جند «عمرو بن العاص» وقال : أتقتل أخي صبرا؟ ابعث الي «معاوية بن حديج» فانهه، فبعث اليه: إن «عمرو بن العاص» يأمرك أن تأتيه «بمحمد بن ابي بكر»، فقال : اكذالك قتلتم «كنانة بن بشر» وأخلي أنا عن «محمد»، هيهات . فقال «محمد» اسقوني من الماء، فقال «معاوية» لا سقاني الله إن سقيتك قطرة ابدا، وانكم منعتم «عثمان» ان يشرب الماء حتي قتلتموه صائماً، أتري ما أصنع بك؟ أدخلك في جوف حمار ثم أحرقه بالنار[1].

فلما علمت السيد«عائشة» بالهيئة التي قتل بها أخوها فزعت لذلك فزعا شديداً فكانت تقنت علي قاتليه دبر كل صلاه ، وقيل انها حرمت علي نفسها أكل الشواء من اللحم[2].

وهكذا تصبح «مصر» من املاك «معاوية» الذي اذ داد قوة علي قوة ، فالنصر يأتيه من كل مكان، بينما خصمه «علي بن ابي طالب» يزداد ضعفا علي ضعف، يدعو جند العراق لنصرته في هذا المكان أو ذاك، فلا

---

(١) ابن الاثير : الكامل حـ ٣ / ٣٥٧ - ابن كثير : البداية والنهاية حـ ٧ / ٣١٨.
(٢) خليفة بن خياط / التاريخ / ١٩٢ الطبري : تاريخ الرسل والملوك حـ ٥ / ١٠٤، ١٠٥
ابن الجوزي - المنتظم حـ ٥ - ١٥١ .

يجد منهم الا الخذلان الأمر الذي أطمع فيه معاوية أكثر فأكثر فراح يسير الرجال الي «البصرة» (١) في «العراق»، وقلت هيبة الإمام في أعين أتباعه وأعدائه علي حد سواء فتجرأ الخوارج عليه حتي قتله واحد منهم في شهر رمضان أربعين من الهجرة(٢) لينهي به عهد الراشدين ولتستقبل أمة سيد المرسلين عهدا جديدا كان الحكم فيه الي اسرة الأمويين .

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم حـ ٥ / ١٥٢
- النويري : نهاية الأرب حـ ٢٠ / ٢٥٢، ٢٥٣
- بن كثير : البداية والنهاية حـ ٧ / ٣١٥.
- محمد حلمي : الخلافة والدوله / ٤٨٧.
- ابن دقمان : الجوهر الثمين حـ ١ / ٦١.
(٢) خليفة بن خياط / التاريخ ٢٠١.
- محمد حلمي : الخلافة والدولة / ٨٨.

الفصل الثالث : ولاة مصر في عهد السفيانيين

قبل ان نمضي قدما في دراستنا التي جعلناها لولاة «مصر» في عصر السفيانيين الأمويين ، يحسن بنا الالمام في ايجاز شديد الي الظروف التي واكبت قيام حكم هذه الاسرة لتتبين من خلالها الظروف الجوهرية التي وضحت في سياسة ولاة مصر لرغبتهم خلال حكم هذه الدولة الاسلامية .

لان الناس علي دين ملوكهم ، والمرء علي دين خليله كما يقولون ، وسلطة الوالي كما نعلم امتداد لسلطة خليفته ، فنقول ان الدارس اول خليفة أموي يجد ان الرجل قد مر بمراحل ثلاث :

الأولي : كان فيها معاوية والي شرعي من قبل عمر علي جزء من بلاد الشام ثم حيزت اليه جمعها بعد وفاة أخيه وانه ظل هكذا طيلة حكم «عثمان بن عفان».

اما الثانية : فكان فيها «معاوية» والي علي الشام بالغلبة إذ إن «عليا بن ابي طالب» لما آلت اليه الخلافة عزله عنها شأنه في ذلك شأن تبعية «عثمان» علي الأقاليم [١] .

وثالثهما : كان فيها «معاوية» الخليفة الأول علي الدول الاسلامية من الاسرة السفيانية بل من البيت الأموي.

.(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك حـ ٤ / ٤٣٨ ، ٤٣٩

- ابن الاثير : الكامل حـ ٣ / ١٩٧.

- محمد حلمي : الخلافة والدولة / ٨٠ / ٨٢.

والذي لا ريب فيه ان «معاوية» رضوان الله عليه قد تعامل مع كل مرحلة من المراحل السابقة معاملة أبهرت دارس التاريخ ففي المرحلة الاولي يتألف الناس فأغدق عليهم المال، وعاش عيشة الحكام المنعمين ، وقد كان ذلك في خلافه «عمر بن الخطاب» ، وهو من هو في زهده وتقشفه فاستطاع ان يكون من ذوي الكلمة العليه في خلافة «عثمان بن عفان» .

ولما كانت المرحلة الثانية : نجده يقف من «علي» وهو الخليفة الشرعي موقف الند المجابه له بقوة ورباطة جأش يدخل معه في معارك هنا وهناك ليس من دراستنا الخوض في تفصيلها إذ هي تعني بولاة «مصر» بيد أن الذي نود التنبيه عليه هو أن سياسة «معاوية» في مرحلته الثانية أخذت تؤتي أكلها بعد نجاح خليفة «عمرو بن العاص» في فكرة التحكيم [1] .

ومن ثم بذر الانقسام في صفوف جيش أمير المؤمنين اذ خرجت عليه جماعة كبيرة من رجاله عرفت عند المؤرخين بالخوارج فكان عليه مجابهتهم ، ومجابهة عدوه المتحصن بالشام معاوية بن ابي سفيان .

فلما ألجأ عليا رجاله علي البدء بالخوارج لاخضاعهم[2].

ثم التوجه بعد ذلك «لمعاوية بن أبي سفيان»، وافقهم وصار معهم فلما ألحق الهزيمة بهم ، وأراد علي التوجه الي «معاوية»، حالوا بينه وبين مأربه،

(١) خليفة : خياط التاريخ / ١٩٢

اليعقوبي : التاريخ حـ ٢ / ١٨٨، ١٨٩.

البلخي : البدء والتاريخ حـ ٥ / ٢٢٥، ٢٢٦.

(٢) خليفة بن خياط : التاريخ / ١٩٧، الذهبي : العبر حـ ١ / ٣٢

وتعللوا نيفاد النبال، وتكسير الرماح، وتقصف السيوف، وحاجتهم الماسة الي الراحة ووعده بالخروج معه بعد ان ينالوا قسطاً وفيراً منها الي عدوه معاوية ليكون اقوي مما هم عليه الان.

بيد أن شيئا من ذلك لم يتحقق فلحق أمير المؤمنين بربه كما سلفنا وآل الامر من بعده الي والده «الحسن بن علي»، فبايعه اربعون[1] الفا من رجالات أبيه وكان «الحسن» رضوان الله عليه علي النقيض من والده في سياسته فانه نظر فوجد سياسة ابيه لم تؤت ثمارها مع رجال جبلوا علي العصيان وأعيوا والده ، وهو يريد تآلفهم فسلك سبلا شتي في سبيل تلك الغاية مما أحرز نجاحا.

فراح «الحسن» يتساءل في نفسه ماذا يفعل مع هؤلاء؟ أيسير بهم سيرة ابيه ام يجنح الي المسالمة والمهادنه ويحصل لهم علي ما يجعلهم يعيشون عيشة كريمة في بقية حياتهم ، وتسليم الأمر الي ذي الكفة الراجحة والقوة المتنامية «معاوية بن ابي سفيان» .

فضل« الحسن» رضوان الله عليه الأخذ بالرأي الثاني بعد الذي كان من اهل العراق معه، وهو بالمدائن لما نازعوه بساطه الذي يجلس عليه[2] فأرسل الي «معاوية» يخبره بتنازله عن الخلافة بشروط، إن أجابه اليها سمع وأطاع من هذه الشروط ألا يطلب أحدا من أهل «المدينة» و«الحجاز»

---

(١) اليعقوبي : التاريخ حـ ٢ / ٢١٣٤، محمد حلمي : الخلافة والدولة/٨٨
رياض عيسي: النزاع من افراد البيت الاموي / ٤٥
فاطمه مصطفي : تاريخ الاسرة الطالبية / ٩٦ ، ٩٧.

(٢) اليعقوبي : تاريخ حـ ٢ / ٢١٥.

ولا أهل «العراق» بشئ كان في أيام أبيه، وأن يكون الأمر له من بعده ، وأن يكون له ما في بيت مال «الكوفة»، وضراح دار «بجرد» من بلاد فارس وان لا يسب «علي بن ابي طالب» وعلي مسمع منه وان يقوم بقضاء ديونه عنه .

لكن «معاوية» ناقش «الحسن» في هذه الشروط، فكتب اليه بشأن أمان أهل «الحجاز» و«العراق» يقول : أما عشرة أنفس فلا أؤمنهم) إلا ان «الحسن» راجعه في ذلك ، وتمسك بما اشترطه عليه فأجابه «معاويه» (إني قد عاهدت ابي متي ظفرت «بقيس بن سعد» ان اقطع لسانه ويده» عند ذلك ثارت ثائرة «الحسن» فكتب إليه (إني لا أبايعك أبدا، وأنت تطلب «قيسا» أو غيره بتبعه قلت أو كثرت).

والواضح من الروايات التاريخية ان «معاوية» امام تمسك «الحسن» بما اشترطته ارسل اليه ورقا ابيض وقال «للحسن» (اكتب ما شئت فيه ، وأنا التزمه انتهي الامر بتمام الصلح علي ما اشترطه «الحسن» .

وهكذا نجد ان «الحسن» ، قد دفعه ورعه وفضله الي ترك الملك والدنيا ورغبة فيما عند الله ، وكان يقول (ما احببت منذ علمت ما ينفعني وما يضرني ان ألي أمر أمة محمد ﷺ ، علي ان يراق في ذلك حجبة دم[1].

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك حـ ٥ / ١٦٢.
- ابن الوردي - التاريخ حـ ١ - ٢٥١.
ابن القرماني : اخبار الدول وآثار الأول / ١٩٦
- فاطمه مصطفي : تاريخ الاسرة الطالبية / ٩٦ ، ٩٧.

ولذلك أطلق المؤرخون علي سنة احدي واربعين من الهجرة عام الجماعة الأول إذ أصبحت الأمة فيه تدين بالطاعة لخليفة واحد هو «معاوية بن ابي سفيان»[1] و«مصر» التي نخصها بالدراسة، استقبلت هذا العهد الجديد يوالي عينه عليها خليفة المسلمين «معاوية بن ابي سفيان» هو «عمرو بن العاص» .

ولاية عمرو بن العاص الثانية علي مصر

لقد اشرنا فيما سلفنا في الفصل السابق إلي أن «عمرو بن العاص» آزر «معاوية بن ابي سفيان» في جهوده لأخذ «مصر» من عامل علي «محمد بن ابي بكر» دون ذكر لعوامل التي قربت بين «عمرو» و «معاوية» لاعتقادنا ان ارجاء الحديث عنها الي ولاية «عمر» والثانية علي «مصر»، تجعل القارئ يعيش مع «عمرو» في ولايته الثانية علي «مصر» بشكل يمكنه من المقارنة بين سياستين للرجل لانه من الطباعي ان يختلقوا سياسة الوالي الفاتح عنه سياسة الوالي العائد وهو يحمل بين جنبيه طموحا دفعه الي نبذ معتقد سياسي تملكه في السابق وهو معاداة «عثمان» بعدما عزله عن «مصر» ليعتنق مبدءا آخر مناقضا له وهو الانضمام الي شيعة «عثمان» والمطالبة بنيل وتره من قتلته .

---

(١) السيوطي : تاريخ الخلفاء : ٢١٧

رياض عيسي : النزاع بين افراد البيت الأموي / ٤٥.

- محمد الخضري - الدوله الأموية / ٤٠٧.

- عبدالشافي : العالم الاسلامي / ١١٤.

ومن ثم فاننا لا نجافي الحقيقة إذا ما قلنا ان المصلحة الشخصية هي التي جعلت الرجلين يقتربان من بعضهما «فمعاوية» لم يكن يجهل ان «عمرو» كان يؤلب الناس علي «عثمان» و«عمرو» لم يكن يجهل معرفة «معاوية» عنه ذلك الأمر.

ومع هذا فقد غض كلاهما الطرف عن هذه الحقيقة حيث تقاربا وعداها كأن لم تكن والذي يدلك علي تباين سياسة الرجلين خلال عهد «عثمان» وان المصلحة هي التي جمعت بينهما بعد ذلك .

ما ذكره غير واحد من المؤرخين ان «عمرو» لما وجد الثوار تحلقوا بيت «عثمان» ترك «المدينة» لهم - وكان قد حرضهم عليه ونال من سياسته كما سلفنا - واقام «بفلسطين» فلما علم انه قد قتل وان عليا قد بويع (ارتحل «عمرو» وابناه يبكي بكاء المرأة ويقول : «واعثماناه» حتي نزل «دمشق» وبلغه مسير «طلحة» و «الزبير» و «عائشة» فقال في نفسه استأت وانظر ما يضعون ، فأتاه الخبر بأن «طلحة» و«الزبير» قتلا[1].

فأنت تري «عمرو بن العاص» يؤم دمشق حتي يري «معاوية» أنه معه، يبكي علي «عثمان» مثلما يبكيه ، وكأن «عمرو» يلمح الي «معاوية» بامكانية الاستعانة به .

لأن مثل «عمرو» لا يقبل ان يكون بعيدا عن الأضواء في ظل الجو

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم حـ ٥ / ١٠٠.

السياسي المضطرب في الدولة الاسلامية ، ولم يكن «معاوية» بالرجل الذي يغيب عنه هذا التلميح ، فأخذ هو الآخر يفكر في الاستعانة به حين رأي عليا يحرز الانتصار علي اصحاب الجمل فجمع «معاوية» خلصائه وشاورهم في امر الاستعداد لمواجهة علي فأشار عليه «عتبة بن ابي سفيان» «بعمرو بن العاص»، فصادفت تلك المشورة هوي في نفسه فكتب اليه «معاوية» كتابا جاء فيه:

أما بعد ، فانه قد كان من أمر «علي» و«طلحة» و«الزبير» و«عائشة» ما قد بلغك، فقد سقط الينا «مروان» في رافضة أهل «البصرة»، وقدم علي «جرير بن عبدالله» في بيعة «علي»، وحبست نفسي عليك حتي تأتيني، فأقدم علي بركة الله تعالي، فلما انتهي الكتاب اليه دعا ابنيه «عبد الله» و«محمد»ا فاستشارهما ، فقال له «عبدالله» ايها الشيخ : ان رسول الله قبض وهو عنك راض، ومات «ابو بكر» و«عمر» وهما عنك راضيان، فانك ان تفسد دينك بدنيا يسيره تصيبها مع «معاوية»، فتضحعان غدا في النار، ثم قال «لمحمد» : ما تري ؟ قال بادر هذا الأمر، فكن فيه رأسا قبل ان تكون ذنبا.

ولقد عبر «عمرو» عن حيرته تلك بأبيات من الشعر منها :

أأخدعــه فأخــدع فيــه دينــه

أم أعطيـه من نفسي نصيحة وامق

أم أجلس في بيتي وفـــــي ذاك راحـــة

لشيخ يخاف الموت في كل شارق

وقد قال «عبـــدالله» قـــولاً تعلـــقت

به النفس ان لم يعتقلني عوائقي

وخالـــــفه فيـــه أخوه «محمـــد»

وإني لطلب العود عند الحقائق(١)

وبعد طول مداوله وتفكير شغلا «عمرو» عن كل شئ من حوله، قرر الانضمام الي «معاوية بن ابي سفيان»، الذي سعد بهذا التأييد من قبل واحد من دهاة العرب.

وسعد «عمرو» به لأنه حين فكر ونظر في أمر «معاوية» و«علي» وجد أن الانتصار أدني الي الأول منه الي الثاني، وتمت تأييده تجده عند من سعي اليه وليس عند من يسعي «عمرو» له ، ولان «عليا» ذا سياسة تأباها المساومة.

لذلك كله انضم «عمرو» «لمعاوية»، علي اساس ان يعطيه في حالة انتصاره وايلوبه امر الامة اليه «مصر» طعمة له .

فلما كان ما كان من امر جيش «عمرو بن العاص» في «مصر»

---

(١) اليعقوبي : تاريخه حـ ٢ / ١٨٤، ١٨٥

- ابن الجوزي : المنتظم حـ ٥ / ١٠٠.

والانتصار الذي احرزه علي «محمد بن ابي بكر» سنة ثمانية وثلاثين للهجرة، استوي «عمرو بن العاص» علي كرسي ولايتها منذ ذلك الوقت قبل ايلوله أمر الخلافه «لمعاوية بن ابي سفيان» فكان ينتقل «عمرو بن العاص» منها الي «معاوية» ليشاركه الرأي مثلما كان من موقفه في معركة صفين ، حين اشار علي «معاوية»، برفع المصاحف، وطلب التحكيم، وتمثيله «لمعاويه» في مواجهته «لأبي موسي الأشعري» الذي مثل «علي ».

وحين صارت الخلافة «لمعاوية» وفي «لعمر بن العاص» بما كان وعده به فجعل له صلاة مصر وخراجها طعمة، فكان ذلك اقرارا منه بما هو عليه منذ قتل آخر عمال «علي» «محمد بن أبي بكر» علي أرضها[1].

مما تقدم يتبين لنا ان كلا الرجلين قد جني ثمرة تحالفهما ، فمصر في نظر المعاصرين في هذا الوقت كانت تعدل الخلافة لما لها من امكانيات مالية وقوة بشرية وقد أصبحت خالصة «لعمرو بن العاص» .

والخلافة صفت سماءها لمعاوية بعد تنازل الحسن وما كان ذلك ليتحقق لمعاوية الا بمؤازرة الأكفاء من الرجال له مثل عمرو بن العاص لم تذكر مصادر التاريخ أعمالا لعمرو بن العاص في ولايته الثانية قام بها علي أرض مصر وان ذكرت له تسير بعض الحملات الي شمال افريقيا للاخضاع البربر انطلاقا من ارضها[2].

---

(١) الكندي : ولاة مصر / ٥٤ : ٥٦

- المقريزي : الخطط / حـ ٢ / ٣٣٧.

(٢) الكندي : ولاة مصر / ٥٥.

وقد عزا احد الباحثين عدم قيام «عمرو بن العاص» بأعمال بارزة على أرض «مصر» خلال ولايته الثانية عليها الي قصر مدته حكمة بها في هذه المرة ، فلما قال (نحن نجزم بأنه لو طال به الأجل في هذه الفترة الثانية في حكمه لما ضن علينا التاريخ بذكر الكثير من هذه الأعمال المجيدة، إذ ليس من المعقول ان هذه الفترة القصيرة التي لا تتجاوز الثلاث أو الاربع سنوات التي مكثها في «مصر» وكانت تكفي اي مصلح عظيم لكي يطفىء نيران هذه الفتن التي استعرت في «مصر» لانقسام اهلها ، واختلاف ميولهم نحو «معاوية بن ابي سفيان» والامام علي، إذ كان لكل منهم شيعة وانصار[1].

(١) عبدالخالق ابو رابيه : «عمرو بن العاص» / ٣٣٧، ٣٣٨.

ونحن نأخذ بهذا التعليل الذي علل به الباحث لعدم قيام «عمرو بن العاص» بالجديد من الأعمال الانشائية علي أرض"مصر" ، ونضيف اليه أن ولاية «عمرو بن العاص» علي «مصر»، وان بدأت من سنة ثماني وثلاثين من الهجرة الي سنة ثلاثة وأربعين، فإن هذه السنوات لا تحسب عليه ، فقد قضاها في جهاد مع «معاوية» حتي يرضخ له الأمر، فما استقامت الأحوال لهما ، ولا تحقق مآربها بشكل يأمنا به علي انفسهما، الا بعد تنازل «الحسن» عن الخلافة «لمعاوية» في سنة احدي واربعين من الهجرة.

وعليه فإن ما يحسب «لعمرو» في الولاية الآمنة المستقرة لا يتجاوز عاما، وبضعة أشهر، وهذه بلا ريب لا تكفي لأن يقوم الوالي بأعمال كبيرة علي غرار ما قام به خلال ولايته الأولي علي «مصر» .

ومهما يكن من أمر فان «عمرو بن العاص» تعرض خلال ولايته الثانية علي «مصر» لمحاولة اغتيال، حيث ان ثلاثة من الخوارج تعاقدوا علي تخليص الامة من الثلاثة الذين تسببوا في الفتن التي أكلت نارها رجالات المسلمين - علي حد اعتقادهم - وهم «معاوية» و«عمرو بن العاص» و«علي بن ابي طالب» فلم ينجحوا الا في قتل «علي» اما «عمرو بن العاص» فقد نجا من القتل ، لأنه لم يخرج تلك الليلة الي المسجد لمرض اصاب بطنه، فأمر «خارجه بن ابي حبيبه» ان ينوب عنه في الصلاة بالناس.

فخرج ليصلي بهم ، فشد عليه «الجارحي»، وهو يعتقد انه «عمرو بن العاص»، فضربه فقتله، فأخذه الناس الي «عمرو» فسلموا عليه بالأمره

فقال من هذا؟ قالوا : «عمرو» قال : فمن قتلت؟ قالوا : «خارجة» قال : أما والله يا فاسق ما ظننته غيرك! فقال «عمر»و : أردتني وأراد الله «خارجة» فقدمه «عمرو» وقتله(١)

وعلي كل حال فان الاجل المحتوم قد واف «عمرو بن العاص» بعد عام الجماعة الاول بقليل فقد داهمه المرض، فأماته يوم الفتر سنة ثلاث وأربعين من الهجرة، فصلي عليه ولده «عبدالله بن عمرو»(٢) الذي آل اليه امر «مصر» بعهد من ابيه .

ويذكر المؤرخون ان «عمرو بن العاص» قال : حين حضرته الوفاة دمعت عيناه ، فقال له ولده (أجزع من الموت يحملك علي هذا؟! قال لا ولكن مما بعد الموت .

فذكر له «عبدالله» مواطنه التي كانت مع رسول الله ﷺ والفتوح التي كانت بالشام فلما فرغ «عبدالله» من ذلك ، قال «عمرو» قد كنت علي اطباق ثلاثة ، لو مت علي بعضهن علمت ما يقول الناس بعث الله محمداﷺ فكنت اكره الناس لما جاء به أتمني لو انني قتلته فلو مت علي ذلك لقال الناس مات «عمرو» مشركا عدوا لله ولرسوله من اهل النار ثم قذف الله الاسلام في قلبي فأتيت رسول الله ﷺ فبسط الي يده ليبايعني فقبضت يدي ثم قلت أبايعك علي أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي وأنا أظن حينئذ إني لا أحدث في الاسلام ذنبا ، فقال رسول الله ﷺ يا «عمرو» إن الإسلام يجب ما قبله من خطيئة، وان الهجرة تجب ما بينها وبين الاسلام .

---

(١) ابن الاثير : الكامل حـ ٣ / ٣٩٤.

(٢) خليفة بن خياط : التاريخ / ٢٠٦ - البلخي : البدء والتاريخ حـ ٦ / ٣ ابراهيم الابياري : معاوية الرجل الذي أنشأ دولة ٢٣٠/٢٣١.

فلو مت علي هذا الطبق لقال الناس اسلم «عمرو» وجاهد مع رسول الله ﷺ نرجو «لعمرو» عند الله خيراً كثيراً ثم اصبت امارتي، وكانت فتن فأنا مشفق من هذا الطبق، فاذا خرجتموني فاسرعوا بي، ولا تتبعني مادحة ولا نار شدوا علي ازاري ، فاني مخاصم وسنوا علي التراب سنا فان يميني ليست احق بالتراب من يساري، ولا تدخلن القبر خشبة ولا طوبة، ثم اذا قبرتموني فامكثوا عندي قدر نحر جزور وتقطعيها أستأنس بكم(١).

وهكذا غيب التراب عنا رجلا لعب ادوار بارزة في تاريخ الدولة الاسلامية، منذ قدم رسول الله ﷺ معلنا بين يده اسلامه الي ان توفي في التاريخ سالف الذكر، فشأنه شأن غيره من الرجال البارزين، حين بحكم لهم أو عليهم التاريخ من خلال اعمال قاموا بها ، استحسنها جماعة واستقبحتها اخري ولكن وجه هو موليها ومهما كانت مآخذ الآخرين ، وآراء المعارضين لسياسة «عمرو بن العاص»، فحسبه انه أدخل الاسلام الي «مصر»، وبذل جهدا ليس بالقليل في سبيل نشر راية الاسلام بأفريقيا، صحيح انه تورط في النزاع بين «علي» و«معاوية»، ليحقق لنفسه مأرب دنيوي إلا ان هذه خطيئة واحدة لا تقلل من جهده الذي أومأنا اليه .

---

(١) ابن عبدالحكم : فتوح مصر وأخبارها ١٨٠/١٨١، ابن سعد : الطبقات الكبري حـ ٧/ ٣٤٢-٣٤٣

ولاية عبدالله بن عمرو بن العاص

استقر «عبدالله»علي كرسي الولاية بعد وفاة ابيه كما سلفنا ليدير امر البلاد بنتاً علي عهد منه[1] ولم يكن الرجل علي شاكلة والده فانه كان يجنح الي الجلوس في مكانه بعيدا عن اضواء السياسة وما تجره علي المشتغل بها من مآسي رأي «عبد الله» انه غني عن الوقوع فيها وهذا الذي قررناه من امره عبرة عنه مواقف «عبد الله» في مراحل حياته، فانه حين دخل الاسلام حرص علي ملازمة الحبيب محمد ﷺ فكان يدون ما يسمعه عن النبي في صحيفة خاصة ، عرفت بالصادقة حيث كان في سن تؤهله للسماع عن النبي محمد اذ لا يفصله عن ابيه في السن سوي اثني عشر عاما[2].

وحين كتب «معاوية» الي «عمرو» يدعوه اليه كان «عبد الله» من الذين نصحوا «عمروا» بعدم التمرغ في اوحال النزاع بين «علي» و«معاوية» .

ويلوح لنا ان «معاوية» وهو الأريب العارف بالرجال علم عن «عبدالله» ما قررناه ومن ثم فما كادت تصل اليه انباء وفاة «عمرو بن

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك حـ ٥ / ١٨١ .
- ابن الجوزي : المنتظم حـ ٤/ ١٥٥٧ ، ١٥٥٨ .
(٢) ابن قتيبة : المعارف ط ٢ (٢٨٦-٢٨٧)
- ابن سعد : الطبقات الكبري حـ ٣٤٣/٧ - ٣٤٤.

العاص»، حتي عجل بارسال والي آخر علي «مصر» من قبله .

فكانت ولاية عتبة بن ابي سفيان (١) .

ولايـــة عتبـــة علـــي مصـــر

جعل «معاوية» أخاه «عتبة بن ابي سفيان» واليا علي صلات مصر، وهذا الوالي قد كانت له خبرة سابقة بالاعمال قبل ذلك حيث ان «عمر بن الخطاب» رضوان الله عليه جعله نائبا علي الطائف .

فهذا يدلنا علي ان صاحبنا كان من الرجال الذين جذبوا انظار الفاروق اليهم خلال مدة خلافته ولما وقعت معركة الجمل كان ممن خرجوا مع «عائشة» فاصيب باحدي عينيه ثم شارك أخاه صفين فكان من الرجال الذين حاربوا في الموقعتين(٢).

ويبدو لنا أن «معاوية» كان يثق برأي أخيه ، فيعمل به وآية ذلك ما سلفناه من استدناء «معاوية» «لعمرو بن العاص» نزول علي رأي أخيه «عتبه» ومن ثم فانه اختار لمصر رجلا كفؤاً من آل بيته ليدير أمرها عوضا

(١)ذكر غير واحد من المؤرخين ان عبدالله بن عمرو استمر بحكم مصر سنتين بعد وفاة ابيه ومنهم من قال انها استمرت لسنة سبع واربعين ونحن نري ان هذا الرأي ضعيف حيث ان الطبري حيث اتي علي ذكره قال فما ازعمه الواقدي فهذا القول يدلنا علي ان الطبري وهو المؤرخ الكبير يتشكك في الأخذ به ليس هذا فحسب بل ان اكندي وهو مصدر اصيل لتاريخ الولاه في مصر الاسلامية ذكر عزل عبد الله عنها في القعدة من ذات النسة التي توفي فيها ابوه الكندي : ولاه مصر / ٥٧٥
الطبري: تاريخ الرسل والملوك حـ ٥ / ١٨١

(٢) ابن الاثير : اسد الغابة حـ ٣ / ٤٥٥.

عن «عبدالله بن عمرو بن العاص» الذي لم يكن يسعي للولاية ولا يجبها كما أومأنا الي ذلك فلما قدما «مصر» في القعدة سنة ثلاث واربعين من الهجرة[1].

سلم اليه عبد الله الاعمال ليعيش بعد ذلك بعيدا عن الاضواء الي ان توفي بداره في «مصر» سنة سبع وسبعين من الهجرة[2]

اما «عتبة بن ابي سفيان» فان «معاوية» جعل اليه صلاة «مصر» دون خراجها مما كان يتسبب في كثير من المنازعات بينه وبين عامل الخراج من ناحية ومن ناحية أخري جعل الرعية في «مصر» غير راضين عنه .

وقد عبروا عن ذلك في حضرته امام «معاوية بن ابي سفيان» حين زاره «عتبه» مع وفد من أهل «مصر »فلما جلسوا بين يدي الخليفة سألهم عن حال واليهم معهم فأجابهم أحدهم :

يا أمير المؤمنين حوت بحر ، ووعلي بر (فقال «معاوية» «لعتبه» : اسمع ما يقول فيك رعيتك ! فقال : صدقوا يا أمير المؤمنين) .

[وليتني الصلاة وزويت عني الخراج ، فأكره ان أظهر لهم فيسألوني عليها] .

فلما سمع «معاوية» مقولة أحد أعضاء الوفد ودفاع عتبه عن نفسه رأي أنه من الاجدي للوالي، ورعيته جعل الصلاة والخراج اليه ليتصرف بحرية في عملها ، ولا يجعله يتواري عن انظار رعيته [3] .

---

(١) الكندي : ولاة مصر / ٥٧.

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبري حـ ٧ / ٣٤٤.

(٣) الكندي : ولاة مصر / ٥٩.

فعاد «عتبه بن ابي سفيان» من حاضرة الخلافة الي «مصر» وقد صار اليه صلاتها وخراجها وكانت الاحوال في البلاد خلال مدة ولايته هادئة اذا ما قارناها بعهود الولاة السابقين عليه بعد ما أغلق «معاوية» و«الحسن» باب الفتن بعام الجماعة الاول اذ لم يحدث خلال مدة ولايته سوي ثورة قام بها المصريون علي خلفه الذي كان ولاه أمرها ، وهو غائب عنها «بدمشق» لزيارة الخليفة.

فلما علم «عتبة» بثورتهم عجل بالعودة اليهم فخطبهم خطبة الزمهم فيها الطاعة وحذرهم الخروج عن الجماعة ، فليس للخارجين عنده الا العقاب الصارم ، اذ ليس لهم عند واليهم سوي العدل فيهم مداموا علي الطاعة.

وقد وليكم من إن قال فعل! فان ابيتم درأتكم بيدي، فان أبيتم درأتكم بسيفي، ان البيعة شائعة لنا عليكم السمع ، ولكم علينا العدل، وأتيا غدر فلازمة له عند صاحبه ، فناداه المصريون من جنبات المسجد سمعاً سمعاً: فناداهم عدلاً عدلاً ثم نزل (١) .

وكانت الاسكندرية بحكم موضعها البحري موضع عناية ولاة «مصر» ومن بينهم «عتبة بن ابي سفيان» فانه جعل علي حراستها اثني عشر الف جندي عليهم «علقمة بن يزيد»(٢) فلما كتب له عامله عليها انه يخشي علي المدينة من الأعداء وان ما معه من الاعداء لا يكفي عن الدفاع عنها ،

(١) الكندي : ولاة مصر / ٥٨.

(٢) ابن عمرو بن سلمة بن منيه بن ذهل بن غطيف وفد علي النبي صلي الله عليه وسلم مع قومه فأعلن اسلامه وشهد فتح مصر

- ابن الاثير : اسد الغابة حـ ٣ / ٥٨٥.

سار «عتبه بن ابي سفيان» اليها بنفسه ، فاهتم بتحصينها ورابط بها فوافته المنية علي أرضها في ذي الحجة سنة اربع واربعين، وهو مرابط بين جنبات المدينة ليحفظها من الروم البيزنطيين وغيرهم[١]

لتؤول مصر بعد ذلك الي «عقبة بن عامر الجهني ».

ولاية عقبة بن عامر علي مصر

هذا هو الوالي الثالث الذي ولاه «معاوية» «مصر» بعد ان نعي اليه «عتبة بن ابي سفيان» لم يكن أمير المؤمنين قد اختاره لها عن فراغ بل رشحه لولايتها ، ان الرجل له صحبه لرسول الله روي عنه احاديث، وكان ممن شهد معه صفين[٢].

فلما شغر منصب الولاية «بمصر» في أواخر سنة اربع واربعين من الهجرة، اشخص معاوية اليها «عقبة بن عامر الجهني»، فجعل اليه صلاتها وخراجها .

ويبدو ان «معاوية بن ابي سفيان» لم ترقه سياسة واليه علي البلاد فعمل علي عزله سنة سبع واربعين للهجرة لتصبح «مصر» تحت امرة والي جديد ارسله «معاوية» اليها فكان اطول ولاته مدة بها وأكثرهم نشاطا علي ارضها[٣].

---

(١) الكندي : ولاة مصر / ٥٩ - السيوطي : حسن المحاضرة حـ ١ / ٥٨٥

(٢) ابن سعد الطبقات الكبري حـ ٧ / ٣٤٥ ، الذهبي: سير اعلام النبلاء حـ ٢ ، ٤٦٧، ٤٦٨

(٣) الكندي : ولاة مصر / ٥٩ - ٦٠

- الذهبي : سير اعلام النبلاء حـ ٢ / ٤٦٧، ٤٦٨.

ولاية مسلمة بن مخلد علي مصر

قبل أن نمضي قدما مع هذا الوالي الجديد علي «مصر» لنتبين أعماله، ونهجه السياسي في رعيته، يحسن بنا الإلماع بايجاز الي مراحل حياته،قبل ولايته، إذ يذكر عنه أنه أسلم وهو ابن أربع سنوات، ولما لحق «النبي محمد ﷺ» بالرفيق الأعلي كان بلغ من العمر أربعة عشر عاماً، وكان موضع ثقة أمير المؤمنين« عمر بن الخطاب» فولاه جباية الصدقات.

ولقد أسهم «مسلمة» في مجريات الأحداث بمصر بعد فتحها علي يدي« عمرو بن العاص» حيث كان من العثمانية الذين آولي «خربتا» وناؤوا منها ولاة« علي بن أبي طالب» رضوان الله عليه (١)

وهو من شيعة« عثمان» الذين شاركوا« معاوية بن أبي سفيان» في موقعة صفين. فلما زاره «مسلمة بن مخلد» في «دمشق» سنة سبع وأربعين، رأي الخليفة أن يستبدله «بعقبة بن عامر الجهيني». واليه علي مصـــر فكتـــب« معاوية» الي «مسلمة» كتاباً بصلاة مصر وخراجها، وأمره إن هو وصل الي مصر أن يعمي الخبر عن واليها المعزول« عقبة بن عامر الجهني»، حتي يغادر البلد علي رأس قوة بحرية أرسلها معاوية الي «رودس».

فلما غادر« عقبة بن عامر» مصر إستوي« مسلمة بن مخلد» علي سرير إمارته في عشرين من ربيع الأول سنة سبع وأربعين من الهجرة.

---

(١) الكندي: ولاة مصر / ٦١، ٦٢.
ابن سعد: الطبقات الكبري/ ج٧/٣٤٨، ٣٤٩

فلما غادر« عقبة بن عامر» مصر إستوي« مسلمة بن مخلد» علي سرير إمارته في عشرين من ربيع الأول سنة سبع وأربعين من الهجرة.

فلما بلغ« عقبة بن عامر» خبر عزله عن مصر قال: [أخلعانا وغربة][(١)]. أنشأ « مسلمة بن مخلد» يدير أمور «مصر» مدة خمسة عشر عاماً. جمع له« معاوية» فيها بين « المغرب» و«مصر» فكان أول والي يتولي أمرهما معاً فأحسن سياسة الرعية، ودافع عن «مصر» ضد أعدائها المتربصين بها،

وبالنسبة الي الأمر الأول نري الوالي يولي جل عنايته عمارة المساجد، فأنشأ بها الصوامع للمؤذنيين، وعمل علي توسعة مسجد«عمرو بن العاص» وعاش المصريون خلال مدة ولايته ينعمون بالرخاء وسماحة الوالي تلك التي طالت أهل الزمة، فيذكر السيوطي أن «مسلمة» أذن للأقباط بمصر ببناء أول كنيسة لهم علي مقربة من الفسطاط بعد فتح البلاد علي يدي المسلمين. فلما اعترض عليه الجند بين لهم الوالي أن هذا من حقهم عليه، فإنه ماأذن بشيء فيه انتقاص لحقوق المسلمين.(٢)

وهذا يدلنا علي أن سياسة الوالي في رعيته كانت مبنية علي السماحة مع مختلف الطوائف الدينية حتي يؤدوا شعائرهم في حرية، وهو في ذلك له أسوة بالنبي« محمد صلي الله عليه وسلم» ثم« عمربن الخطاب» رضوان الله عليه.

---

(١) الكندي/ ولاة مصر/ ٦٠

(٢) السيوطي: حسن المحاضرة ج١/٥٨٥

وبالنسبة للأمر الثاني : فإن الوالي تصدي لمحاولات الروم، الإغارة علي «مصر» فإن هؤلاء مافتئوا يشنون الغارات بين الفينة والفينة بقصد النيل من المسلمين، فلما نزلوا عند «البرلس» سنة ثلاث وخمسين من الهجرة، تصدي لهم وتمكن من ردهم علي أعقابهم(١)، مما أسهم في علو مكانته لدي المصريين وأمير المؤمنين،ولم تكن جهود الوالي في شمال أفريقيا، إنطلاقا من مصر بالشيء الهين، فإن « مسلمة بن مخلد » دأب علي إرسال الحملات اليها، لفتح بقية بلادها من ناحية، ومن ناحية أخري إخضاع البربر الذين دأبوا علي القيام بالثورات في عهده مثلما كانت في عهد أسلافه من الولاة، ولم يكتف « مسلمة» بارسال هذه الحملات من «مصر» وحدها بل كان يكتب إلي الخليفة« معاوية» يستمده الجيوش حتي يبعث بها الي أفريقيا(٢)

فهذا يدلنا علي أن الوالي كان علي اعتقاد تام بان تأميم الوجود الاسلامي بأفريقيا، واخماد ثورات البربر علي أرضها ، كان من الضرورة بمكان بحيث يستطيع المسلمون في «مصر» ان يأمنوا علي أنفسهم فيها ، وتلك نظرية استراتيجية يعمل بها الحكام في عصرنا الحاضر فانهم يولون حماية حدود دولهم كل عنايتهم .

بيد ان الذي نأخذه علي جهود «مسلمة بن مخلد» في افريقيا قيامه بعزله «عقبة بن نافع» عنها دون داعي، وتوليها «لأبي المهاجر» فان الأخير

---

(١) الكندي : ولاة مصر / ٦١.

(٢) خليفة بن خياط : التاريخ / ٢١٠.

لما وصل البلاد سام الاول سوء العذاب ، وأوثقه بالحديد، متناسيا جهوده التي قام بها في سبيل البلاد .

فلما علم «مسلمة» بما فعله عامله الجديد «بعقبة بن نافع»، ارسل كتابا اليه بتخليه سبيل «عقبه بن نافع»، فتلقاه «مسلمة بن مخلد» بالفسطاط واعتذر[1] إليه عما أنزله به «ابو المهاجر».

ولم يكن الوالي الجديد مثل سابقه في الكفاءة .

فان البلاد تدهورت في عهده ، الأمر الذي يجعلنا نحمل «مسلمة بن مخلد» مسئولية هذا التدهور .

وعلي كل حال فلسنا هنا بصدد تتبع الأحداث في بلاد المغرب العربي، لأن ذلك يخرجنا عن دراستنا، انما الذي أردناه ابراز جهود الوالي «مسلمة بن مخلد» في خدمة الدولة الأموية خلال مدة ولايته علي مصر .

ظل «مسلمة» علي البلاد يدير امرها أحسن تدبير ويسوس أهلها أكمل سياسه الي أن توفي «معاوية بن ابي سفيان» سنة ستين[2]من الهجرة فلما آل أمر الدولة الأموية إلي «يزيد» أبقي «مسلمة بن مخلد» علي مصر ولم يكن الوالي اقل اخلاصا لخليفته الجديد عن «معاوية بن ابي سفيان»

---

(١) ابن عبدالحكم : فتوح مصر وأخبارها / ١٩٧.

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك حـ ٥ / ٣٢٣، ٣٢٤.

- ابن دقماق : الجوهر الثمين حـ ١ ، ٧٤.

ذلك انه ما كادت تأتي الكتب من دمشق الي مصر تحمل الي واليها نبأ وفاة «معاوية» واستوا «يزيد» علي أريكة الخلافة ، نهض الوالي من فورة فجمع الناس، وأخذ منهم البيعة «ليزيد» دون إهمال أو إمهال، فحين أظهر «عبدالله بن عمرو بن العاص» «لمسلمة» ترددا في مبايعة الخليفة الجديد، أعدر اليه الوالي بانه ان لم يبادر ببيعة «يزيد» أحرق عليه داره، فلما رأي «عبد الله» الجد في الوالي، وأنه سينفذ ما توعده به ، أقبل فبايع «يزيد بن معاويه» بالخلافة.

وظل «مسلمة» علي ولاية"مصر"حتي وافاه الاجل لخمس بقين من رجب سنة اثنين وستين من الهجرة ، بعد ولاية دامت عليها خمسة عشر سنة وأربعة أشهر .

وبوفاة «مسلمة» وولاية «سعيد بن يزيد» علي «مصر» ، تلك الولاية التي جاءت في فترة عصيبة مزقت فيها الثورات الدولة الاسلامية ، فشغلت الخليفة بأمرها ، واصحاب المصادر بتدوين أحداثها .

ينتهي حكم الاسرة السفيانية بمصر ، فان الزبيريين بثوا اتباعهم في أرضها ، وعملوا علي سلخها عن الدولة[1]، مهتبلين فرصة الاضطراب

(١) المقريز : الخطط / حـ ٢ / ٣٣٧

- سيدة الكاشف : مصر في فجر الاسلام / ١٢٩.

السياسي، الذي أعقب وفاة «يزيد» وتنازل «معاوية الثاني» عن الخلافة، وتصبح «مصر» ولاية يحكمها «الزبيريون» من مكة الى ان تمكنت الاسرة المروانية من استردادها .

وهذا ما سنعد الي معالجته ان شاء الله في دراسة لاحقة.

بسم الله الرحمن الرحيم

خاتمة الدراسة

فاني أحمد الله جلا علاه الذي هدانا لهذا وماكنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، ونصلي ونسلم علي حبيبه الذي اصطفاه ويعد:

فهذه صفحات قرأناها عن تاريخ «مصر» خلال فترة وجيزة من فترات تاريخها الإسلامي تولي أمرها فيها عدد من الولاة نيابة عن الراشدين ثم السفيانيين رأينا فيها كيف أن هذه البلاد استمرت تلعب دورها البارز في الأحداث بعد فتح المسلمين لها مثلما كانت تقوم قبل ذلك من الأسباب التي جعلت «عمرو بن العاص» يتمسك بحكمها بعد فتحهاويأسف علي تركها لما عزله «عثمان» عنها ويبذل جهده في سبيل أن يعود اليها، بعد ذلك، فلما عاد جذبه هواؤها وعذوبة مياه نيلها فلم يتركها حتي كانت فيها منية، كذلك كان ولده فمصر إذن تجذب الغرباء إليها وتجعل أهلها يضحون في سبيلها بالنفيس والرخيص لما لها من مناخ طيب، وموقع استراتيجي، ولما لأهلها من طبائع طيبة تجعلهم سهلي الإنقياد للحكام في كثير من الأحايين.

ولم تكن هذه هي الحقيقة الوحيدة، التي أبرزتها الدراسة، بل إن هناك حقائق أخري، منها أن هذه البلاد الرابعة كانت ملاذا للمتمردين علي «عثمان بن عفان» رضوان الله عليه، فاستغلوا سماحة أهلها وتصديقهم لما يقال فزيفوا الحقائق لهم ملتمسين أدلة بعيدة عن الواقع جعلت عدداً ليس بالقليل من قاطني «مصر» يشاركون بالثورة علي «عثمان» تلك التي

إصطلي المصريون بنارها بعد ذلك فجعلت من أرضهم مسرحاً للصراع بين القوتين الإسلاميتين متمثلة في الخلافة والمناوئين لها الذين طالبوا بنيل وتر «عثمان» .

فكان ماكان من أمر قتل رجال «مصر» وإتلاف الزوع والثمار، ومايترتب علي ذلك من ترميل للنساء، وتيتيم للأطفال، ونستعيذ بالله من فتن إذا أقبلت أحالت العمران الي خراب.

ومن الحقائق التي أبرزتها الدراسة للقاريء أن دخول «مصر» تحت حكم «معاوية» كانت نقطة تحول كبيرة في صراعه مع «علي بن أبي طالب» رضوان الله عليه. فان الأول قد ارتفعت معنويات رجاله وازدادت قوته وعظمت ثورته بضم «مصر» اليه بخلاف الأخير فانه هبطت معنويات رجاله بعد التحكيم وخروج الأتباع عليه وسلخ «مصر» من دولته وقتل عامله بها علي أيدي مناوئيه .

وهناك نتيجة أخري لامراء وقف عليها القاريء وهو يطالع صفحات هذه الدراسة، وهي وإن سيطرة المسلمين علي «مصر» بعد فتحها في عهد الراشدين ونجاحهم في الدفاع عنها أمام هجمات الروم البيزنطيين كان هو الأخر عامل تأثير هام علي الصراع الكبير بين الخلافة الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية ذلك إن «مصر» كانت بالنسبة لهذه الإمبراطورية البيزنطية مصدراً للغذاء يسهم في نشر راية الرخاء عليهم، ويجعل الأباطرة يأمنون علي عرشهم حيت تكون الرعية في بحبوحة من العيش.

فأصبحوا بعد أخذ «مصر» يعانون من الضيق، وغدا المسلمون في صراعهم معهم أقوي شكيمة للثورات التي تتدفق علي حاضره الدولة الإسلامية من «مصر» هذا من ناحية، ومن ناحية أخري فإن المسلمين أخذوا يطورون من قواتهم البحرية شيئاً فشيئاً ليدافعوا عن «مصر» وغيرها من السواحل الإسلامية حتي غدوا أصحاب يد عليا في البحر سالبين الروم البيزنطيين هذه الميزة ولا نغالي إذا ماقلنا إن «مصر» إن لم تكن السبب الأوحد في جعل القوة البحرية الإسلامية تتنامي، فإنها لامراء من بين الأسباب الهامة التي جعلت المسلمين يطورون في قواتهم البحرية.

وإن ننسي فلا ننسي ونحن نلمح الي بعض النتائج التي إنتهت إليها صفحات الكتاب أن نذكر لمصر ومن قطنها من المسلمين الفضل بعد توفيق رب العالمين في نجاح الفاتحين المسلمين دخول شمال أفريقيا، وضمها إلي الدولة الإسلامية وجعل راية الإسلام ترفرف علي أرضها.

فمن «مصر» إنطلقت الجيوش الإسلامية الفاتحة. والي واليها كان حكم شمال أفريقيا في بعض الأحايين. ولا يفوتنا ونحن نذكر النتائج التي توصلت اليها الدراسة الإشارة إلي نتيجة هامة في أن أهل «مصر» الأقباط نعموا بسماحة المسلمين، فلم يخلفوا وعداً، ولم ينقضوا عهداً، أبرمه مع القبط. بل سمح أحد ولاة المسلمين لهم ببناء كنيسة علي أرض يملكونها وهو« مسلمة بن مخلد».

تلك كانت بعض النتائج والحقائق التي توخينا إبرازها من خلال

الصفحات التي سطرنا عن تاريخ ولاة «مصر» في عهدي الراشدين ثم السفيانيين تاركين الحكم فيها للولاة أو عليهم للقاري، من خلال ماطالعه من معلومات إستقيناها من مصادرها الصحيحة،وروايات فندنا مالا نقبله منها مبينين الأدلة التي جعلتنا نميل إلي بعضها دون البعض الأخر ناقلين بأمانة آراء الكتاب المحدثين، وإن خالفه رأينا إيمانا من بحرية الفكر. وإختلاف وجهات النظر سنه الله في خلقه فمايرون لهذا يكرهه ذاك، والكل ينشد الوصول إلي الحقيقة التاريخية التي هي أسمي ما يتمني المؤرخ الوصول إليه خلال حياته العلمية، وإن شئت الكمال فالكمال لله وحده سبحانه وتعالي مالك الملك والملكوت الحي الذي لا يموت .

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته علي الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا علي القوم الكافرين.

صدق الله العظيم

د. / محسن سعد عبد الله
أستاذ التاريخ المساعد
بكلية اللغة العربية بالمنصورة

ثبت المصادر والمراجع

(١) ابن الأثير:- العلامة «عز الدين ابي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمدابن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني» (ت/ ٦٣٠)

الكامل في التاريخ عدد الأجزاء اثني عشر جزءاً

الناشر:-دار صادر- بيروت ١٣٩٩هـ -١٩٧٩

أسد الغابة في معرفة الصحابة

طبعة مجددة باشراف

مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر -ط بيروت- لبنان ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م

(٢)أحمد الشامي:- الخلفاء الراشدونط(١) :- ١٩٨٢

الناشر:- دار النهضة العربية- القاهرة

(٣)أحمد عطية الله:- القاموس الإسلامي عدد الأجزاء/ (خمسة)

الناشر: مكتبة النهضة المصرية- القاهرةط(١) ١٣٩٥هـ - ١٩٧٦م

(٤)البلخي:- أبي زيد أحمد بن سهل (ت/ ٥٠٧هـ)

البدء والتاريخ عدد الأجزاء (ستة أجزاء)

الناشر:- مكتبة الثقافة الدينية

(٥) ابـن تـغـري بـردي: أبـو المحـاسـن يـوسـف بـن تـغـري بـردي الأتابكي(ت/٨٧٤هـ) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة

الناشر : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة/ القاهرة

(٦) ابن جرير الطبري:- أبي جعفر محمد (ت/ ٣١٠هـ)

تاريخ الرسل والملوك - عدد الأجزاء/ اثني عشر جزءاً

الناشر: دار المعارف / القاهرة - ط٤/ ١٩٧٩

(٧) ابن الجوزي:- جمال الدين ابي الفرج عبد الرحمن بن علي

تحقيق المنتظم في تواريخ الملوك والأمم / عدد الاجزاء - عشرة - أ.د/ سهيل ركاز

الناشر : دار الفكر - بيروت - لبنان- ١٤١٥هـ ١٩٩٥م

(٨) جون باجوت:- جلوب - الفتوحات العربية الكبري

تعليق : خيري حماد

الناشر: الدار القومية للطباعة - فرع الساحل

(٩) ابن حجر :- شهاب الدين ابي الفضل أحمد بن علي بن العسقلاني(ت/٨٥٢هـ)

الإصابة:- عدد الأجزاء - ستة أجزاء

الناشر: دار احياء التراث العربي -بيروت - لبنان ط(١) ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩

بيروت - لبنان

تهذيب التهذيب عدد الأجزاء - عشرة أجزاء

الناشر : دار الكتاب الإسلامي / القاهرة

(١٠) ابن خياط :- خليفة /ت/ ٢٤٠هـ

تاريخ خليفة بن خياط

تحقيق: الدكتور/ أكرم ضياء العمري

الناشر ك دار طيبة - الرياض-ط(٢) ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

(١١) ابن دقماق :- صارم الدين ابراهيم بن محمد بن آيدمر العلائي(ت/٨٠٩هـ)

الجوهر الثمين - جزءان

تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي

بيروت (ط(١) - ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م

(١٢) الذهبي:- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت/٧٤٨هـ)

سير اعلام النبلاء - عدد الأجزاء- ثلاثة وعشرون جزءاً

تحقيق: ابراهيم الزيبق - أشرف على تحقيق الكتاب

شعيب الأرنؤوط - ط(٢) :- ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

العبر في خبر من غبر - ثلاثة أجزاء

تحقيق: ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول

الناشر:- دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان

تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام - الجزء الثالث

تحقيق : حسام الدين القدسي - مجاز من جامعة دمشق / ١٩٢٧م

الناشر : مطبعة القدس - شبرا - طبعة ١٩٧٩

(١٣) أبو رابيه :- عبد الخالق سيد

عمرو بن العاص بين يدي التاريخ

الناشر:- الزهراء للإعلام العربي - القاهرة -ط(١) ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨

(١٤) رياض عيس:- النزاع بين افراد البيت الأموي ودوره في سقوط الخلافة الأموية

تقديم : د/ سهيل ركاز -ط(١)/ ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م

الناشر : دار حسان للطباعة والنشر

(١٥) أبو زيد شلبي : الخلفاد الراشدون

الناشر:- مكتبة وهيه/ القاهرة

(١٦) ابن سعد:- أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري - كاتب الوافدي/ ت/ ٢٣٠هـ

الطبقات الكبري : ثمانية أجزاء - ط(١) / ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م

تحقيق : محمد عبد القادر عطا

الناشر:- دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان

(١٧) سيده / اسماعيل الكاشف

مصر في فجر الإسلام من الفتح العربي إلي قيام الدولة الطولونية

الناشر :- الهيئة المصرية العامة للكتاب/ ١٩٩٤م

(١٨) السيوطي:- الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي

حسن المحاضرة - جزءان

تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم

الناشر:- دار أحياء الكتب العربية -ط(١) ١٩٦٨هـ - ١٣٨٧هـ

(١٩) صابر:- محمد دياب

تاريخ مصر الإسلامية وحضارتهامن الفتح الإسلامي حتي منتصف القرن الثالث الهجري

الناشر:- دار النهضة العربية ١٩٧٦

(٢٠) ابن عبد الحق:- صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي(ت/٧٣٩هـ)

مراصد الإطلاع - ثلاثة أجزاء

تحقيق علي محمد البجاوي

الناشر: دار أحياء الكتب العربية ط(١) - ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م

(٢١) ابن عبد الحكم:- أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله

فتوح مصر وأخبارها

الناشر: مكتبة المثني - ببغداد - ط ليدن / ١٩٣٠

(٢٢) عبد العزيز سالم السيد

تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي

الناشر:- مؤسسة شباب الجامعة ١٩٨٢

تاريخ الدولة العربية

الناشر: مؤسسة شباب الجامعة

(٢٣) علي طنطاوي: ناجي طنطاوي

أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر

الناشر: دار الفكر - ط(٣) - ١٣٩٢هـ - ١٩٧٣م

(٢٤) فاطمة مصطفي:- عامر

تاريخ الأسرة الطالبية في المدينة في العصر الأموي

الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية / القاهرة - ط ١٩٨٠

(٢٥) القرماني:- أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي

أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ بيروت

(٢٦) ابن كثير:- أبو الفداء اسماعيل (ت/ ٧٧٤هـ)
البداية والنهاية عدد الأجزاء (أربعة عشر جزءاً) ط ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م
الناشر: دار الفكر - بيروت

(٢٧) الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البغدادي(ت/ ٤٥٠هـ)
الأحكام السلطية في الولايات الدينية
علق عليه : خالد عبد اللطيف السبع العليمي
الناشر : - دار الكتاب العربي - بيروت

(٢٨)محسن سعد عبد الله
نور اليقين الخلافة والبيعة
الجزء الأول ١٩٨٧ - الطبعة الأولي
الناشر :- مطبعة الحسين / القاهرة

(٢٩)محمد حلمي :- محمد أحمد
الخلافة والدولة في العصر الأموي
الناشر : مكتبة الشباب - ط(١)/ ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧

(٣٠)محمد ضياء الدين الريس

النظريات السياسية الإسلامية ط٧ ١٩٧٩

الناشر :- دار التراث - القاهرة

(٣١) محمود شاكر :-

التاريخ الإسلامي

الخلفاء الراشدون عدد الأجزاء / تسعة أجزاء ط٧ -
١٤١١هـ - ١٩٩١م - بيروت

(٣٢) ابن منظور:- لسان العرب

تحقيق: عبد الله علي الكبير

محمد أحمد حسب الله - هاشم محمد الشاذلي

الناشر: دار المعارف / القاهرة

(٣٣) النويري:- شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت/٧٣٣هـ)

نهاية الأرب في فنون الأدب/ عدد الأجزاء ثلاثة أجزاء من ١٩:٢١

تحقيق: مراجعة

د/حسين نصار د/عبد العزيز الأهواني

الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٤٠٣هـ -
١٩٨٣م

(٣٤) ابن الوردي : زين الدين عمر بن مطفر (ت/٧٤٩هـ)

تتمة المختصر في أخبار البشر المعروف بتاريخ ابن الوردي

الناشر:- المطبعة الحيدرية - النجف سنة ١٣٨٩هـ - /١٩٦٩م

(٣٥) اليعقوبي :- أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي (ت/٢٨٤هـ)

الناشر:- دار صابر - بيروت

(٣٦) ابو يعلي :- محمد بن الحسيني الفراء الحنبلي (ت/٤٥٨هـ)

الأحكام السلطانية

تعليق:- محمد حامد الفقي

الناشر : - دار الوطن - الرياض

(٣٧)يوسف علي يوسف :- الخلافة الراشدة والخلفاء الراشدون

ط(١) - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

الناشر:- دار الطباعة المحمدية

فهرست المحتوي

تم بحمد الله

رقم الإيداع ٤٤٠٠ / ٩٦
الترقيم الدولي I.S.B.N
977 - 19 - 0590 - 2